مكتبة الأسرة الروائع



جمل ماكتب

اعر الجندول

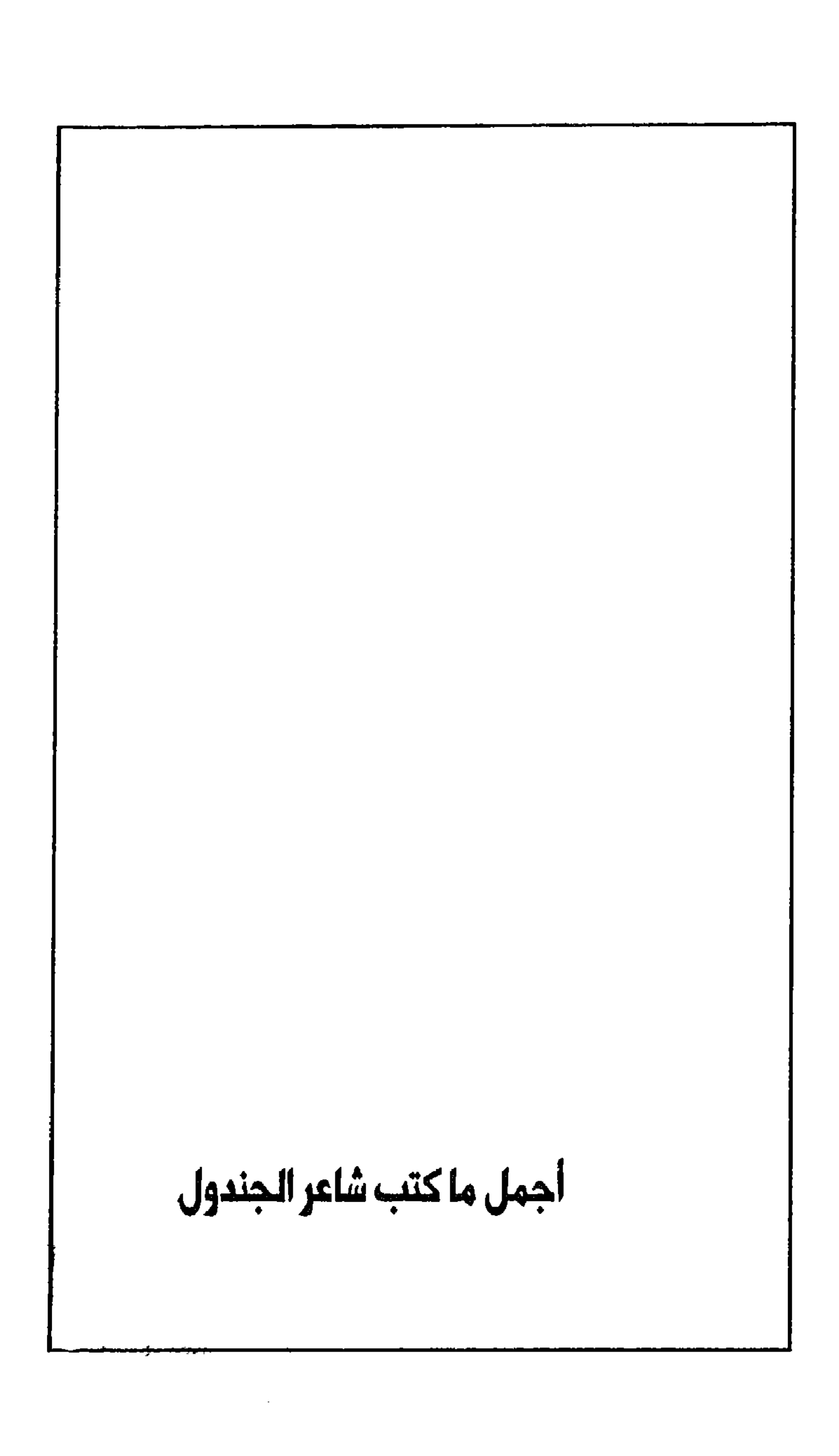
علي
محمود طه

الهيئة المصرية
العامة للكتاب

اهداءات ٢٠٠٢

الشاعر/ عبد العليم القباني

الإسكندرية



أجمل ما كتب شاعر الجندول



مهرجان القراءة للجميع ٩٦

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العربى)

أجمل ما كتب شاعر الجندول
علي محمود طه

لوحة الغلاف
للفنان جمال قطب

تصميم الغلاف
الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الحكم المحلى
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: هيئة الكتاب

أجمل ما كتب شاعر

الجندول

على محمود طه

اختيار وتقديم

د. سمير سرحان   د. محمد عنانى

على سبيل التقديم...

لأن المعرفة أهم من الثروة وأهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الأهمية لهذا المهرجان كأضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وأيضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما أنتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من أهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق بأسعار رمزية أثبتت التجربة أن الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على أن يأخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم أصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

تقديـــــم

لا يكاد على محمود طه يحتاج إلى تقديم ، فالجيل الذى انتمى إليه يألف شعره الرقيق وحبه للجمال والطبيعة والحرية ، ويكاد يرى فيه مثلاً لكل ما كنا نصبو إليه صغاراً حين نذكر فنون أوربا وطبيعتها الخلابة ، والجيل التالى لنا يعرفه من قصائده التى سمعها من محمد عبد الوهاب مثل الجندول وكليوباترة ، ونحن وهم لا نملك إلا الشجن عندما نسمع قصيدته الأخرى التى يغنيها عبد الوهاب أيضاً «أخى جاوز الظالمون المدى ...» والتى تتصدر هذه المجموعة .

ولمن لا يعرفون الكثير عن صائغ هذه الدرر البديعة ، نقدم لمحة موجزة عن حياته وشعره ، فالأصل هو النص الشعرى ، وهذا هو لب الكتاب . ولد على محمود طه فى المنصورة عام ١٩٠٢ وتعلم أولاً فى الكتّاب ثم دخل المدرسة الابتدائية ، وبعد أن نال شهادتها ، وُلد عنده – كما يقول شوقى ضيف **(الأدب العربى المعاصر فى مصر)** «شغف بالعلوم التصنيعية ، فرفض الإلتحاق بالمدرسة الثانوية وآثر الإلتحاق بمدرسة الفنون التطبيقية يدرس فيها الهندسة . وفى سنة ١٩٢٤ تخرج حاملاً شهادة تؤهله لمزاولة مهنة هندسة المبانى» .

وقد أقبل على الوظيفة الحكومية لأنها كانت توفر له الوقت الكافى للتأمل والقراءة ، فعمل أولاً موظفاً بسيطاً بهندسة المبانى فى بلدته المنصورة ، وبدأ ينشر قصائده ويلفت الأنظار

إليه ، ولم يبلغ الخامسة والعشرين حتى كان قد تمكن من نشر بعض أشعاره فى جريدة السياسة الأسبوعية ، وساهمت قصائده تلك مع ما كانت الجريدة تنشره فى إذكاء الروح الرومانسية التى كانت تملأ الجو آنذاك ، وسرعان ما أصبح علماً من أعلام مدرسة أبولو التى أرست أسس الرومانسية فى الشعر العربى ، والطريف أنه كان يحقق المثل الأعلى الرومانسى الذى كان يريده أصحاب مدرسة الديوان (العقاد وشكرى والمازنى) وهو الصدق – وتحديداً ما كان العقاد ينعى فقدانه فى شعر شوقى أى عدم إفصاح الشعر عن الشاعر .

فكان على محمود طه فى حياته مثالاً لما يقوله فى شعره ، وهذه هى شهادة أحمد حسن الزيات :

كان شاباً منضور الطلعة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيلة ، لايبصر غير الجمال ، ولا ينشد غير الحب ، ولا يطلب غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوى ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك .

«كان كالفراشة الجميلة الهائمة فى الحقول تحوم على الزهر، وترف على الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على النور ، لا تكاد تعرف لها بغية غير السبوح ، ولا لذة إلا التنقل . ثم تتبعته بعد ذلك فى أطواره وآثاره ، فإذا الفراشة الهائمة على أرباض المنصورة تصبح الملاح التائه فى خضم الحياة ، والأرواح الشاردة فى آفاق الوجود ، والأرواح والأشباح فى أطباق اللانهاية وإذا الشاعر الناشئ يغدو الشاعر المحلق تارة

بجناح الملك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس» .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى الدقة العلمية التى تحراها طه حسين عندما يتحدث عن الشاعر فى **حديث الأربعاء** فهو يتحدث عن شخصية فنية ، بمعنى القناع الذى يلبسه الشاعر فى شعره ويخفى وراءه وجهه الحقيقى ، مهما يكن من شبه بينهما ، فالشعر الذى يقوله الشاعر ليس الشاعر ، ولذلك فطه حسين سباق فى هذا المجال النقدى الحديث .

على أى حال ، ظل على محمود طه يتقلب فى المناصب الحكومية ، فانتقل إلى وظيفة مدير المعرض الخاص بوزارة التجارة ، ثم استقر نهائياً فى القاهرة مديراً لمكتب الوزير ، وبعدها التحق بسكرتارية مجلس النواب ، مما هيأ له التنقل فى القاهرة التى كانت ما تزال روضاً أريضاً ، ومنها كان يسافر إلى خارج مصر بانتظام ويتقن عدة لغات أوربية فى سفراته تلك، ويخرج الديوان بعد الديوان ، ولكن الوظيفة الحكومية التى قربته من السياسة تتنكر له فيستعيض عنها بقرض الشعر ، وعندما يعين آخر الأمر وكيلاً لدار الكتب عام ١٩٤٩ ويبدأفى التفرغ للنظم ، يعاجله القدر المحتوم فيرحل عن الدنيا فى آخر العام (١٩٤٩/١١/١٧) .

والمفتاح لشعر هذا الشاعر هو فكرة الفردية الرومانسية والحرية التى لا تتأتى بطبيعة الحال إلا بتوافر الموارد المادية ،

التى تحرر الفرد من الحاجة ولا تشعره بضغوط الفاقة ، فقد ولد لأسرة ميسورة ونعم فى صباه ورجولته بما يكفى من الموارد للترحال والتنقل ، بحيث لم يكن يستطيع أن يرى سوى الجمال ، وأن يخصص قراءاته فى الآداب الأوربية للمشكلات الشعرية التى شغلت الرومانسيين ، عن الإنسان والوجود والفن وما يرتبط بذلك كله من إعمال للخيال الذى هو سلاح الرومانسية الماضى . وهذا ما يقوله طه حسين :

«إن شخصيته الفنية محببة إلىّ حقاً ، فيها عناصر تعجبنى كل الإعجاب ، وتكاد تفتننى وتستهوينى ، فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس ، وفيها هذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة ، التى لا حدّ لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض . هذه الحيرة التى تصور الشاعر ملاحاً تائهاً حقاً ، والتى تقذفه من شك إلى شك ، ومن وهم إلى وهم ، ومن خيال إلى خيال ، والتى لا تستقر به على حقيقة حتى تزعجه عنها إزعاجاً وتدفعه عنها دفعاً ، وتقذف به إلى حقيقة أخرى لا يكاد يدنو منها ويتبيّنها بعض الشئ حتى يراها أشد هولاً وأعظم نكراً ، وإذا هو يهرب منها ويجدّ فى الهرب» .

وتأثير شعراء الغرب فيه أوضح من أن يحتاج إلى برهان ، فهو يترجم قصيدة «إلى قبره» للشاعر الانجليزى شلى ، وقصيدة البحيرة للامارتين ، ويقول طه حسين إنه يذكره «تذكيراً قوياً بموسيه» (**حديث الأربعاء** – ص ١٤٦) – وإن لم يكن ذلك التأثير مقصوراً عليه ، فجميع أصحاب مدرسة أبولو قد تأثروا بالغرب وبأنواع النظم الغربى .

وسوف يدرك القارئ لأول وهلة مدى اختلاف شعر على محمود طه عن شعر شاعر مثل شوقى مثلاً ، فشاعرنا هنا من أول من ثاروا على وحدة القافية (بل ووحدة البحر - انظر **فلسفة وخيال**) ناشداً فى ذلك وحدة القصيدة أى الوحدة النفسية التى اقتضته ألا يمزج «أغراض» الشعر بأسلوب شوقى ، ولا أن يسعى لوضع الأبيات التى تشبه الحكم المأثورة ، بل أن يسعى إلى أن تكون كل قصيدة - كما يقول الدكتور هيكل فى **ثورة الأدب** (ص٦٠) بمثابة «فكرة أو صورة أو عاطفة يفيض بها القلب ، فى صيغة متسقة من اللفظ ، تخاطب النفس وتصل إلى أعماقها، من غير حاجة إلى كلفة أو مشقة».

إن إدراك هذا الجهد الذى بذله على محمود طه يفسر لنا كيف وجد المحدثون ، الذين كانوا يبنون بنيانهم على أسس مدرسة أبولو ، يسراً فى صياغة الشعر الجديد ، والانتقال بيسر أكبر إلى وحدة التفعيلة - التى كانت النقلة الطبيعية من حركة التحرر الرومانسى إلى حركة التحرر الحديث فى الأدبين الغربى والعربى جميعاً .

ورغم توقف مجلة أبولو عن الصدور عام ١٩٣٥ فقد استمر على محمود طه يرفع لواءها فى دواوينه المتتالية التى تزامن صدور ستة منها مع سنوات الحرب العالمية الثانية ، دون أن تحس لهذه الحرب أثراً فى شعره ، وإن كنت تسمع أصداء من ينشد للإنسان ويهفو للسلم والحرية ، معلياً قيمة الجمال باعتبارها القيمة الإنسانية العليا (مثل الشاعر

الإنجليزى جون كيتس) وكما يقول الدكتور محمد مندور ، كانت «حاسته الجمالية» هى التى تقيه الابتذال ، حتى حينما يبدو للقارئ أنه يبالغ فى الأوصاف الحسية أو يتحدث عن الخمر (**قضايا جديدة فى الأدب الحديث**) .

ومن تراث الرومانسية الغربية استقى على محمود طه صورة «الشاعر» التى كان العقاد يعليها من قبل ، فهما فى هذا يتفقان رغم اختلاف مذاهبهما الشعرية ، فعلى محمود طه يرى مثل شلى أن الشاعر هو وحده القادر على فهم روح الإنسان ، وأنه وحده القادر على ترجمة هذا الفهم إلى وشائج صلة بين الأرواح ، وإذا كان العقاد ينسب هذه القدرة إلى «الشعور» (مثل وردزورث) فإن شلى هو أيضاً يدين بدين كبير إلى أستاذ الرومانسية الأكبر وردزورث .

وبعد فهذه مختارات قليلة نرجو أن تطفئ غلة الظامئ إلى جمال الشعر العربى الحديث وأن تكون مقدمة لقراءة دواوين الشاعر – ونأمل أن يرى الجيل الجديد فيه ما كنا نراه ، رغم طوفان الشعر الجديد .

د. سمير سرحان

د. محمد عنانى

١ – فلسطين

أخى ، جـــاوزَ الظّالمونَ المَدَى
فــحقَّ الجـهــادُ ، وحَقَّ الفِدا
أنتــركـهُمْ يَغـصـبـونَ العُروبةَ
مـــجــدَ الأبوّةِ والســؤددا ؟
وليسـوا بِغَيْرِ صليلِ السيوفِ
يُجيبونَ صـوتاً لنا أو صـدى
فــجــرِّدْ حـســامَكَ من غـمـدِهِ
فليسَ لَهُ ، بَعْدُ ، أن يُغـمـدا
* * *
أخى ، أيُّهـــا العـــربىُّ الأبىُّ
أرى اليـومَ مـوعـدَنَا لا الغَدا
أخى ، أقــبلَ الشــرقُ فى أمّةٍ
تردُّ الضّلالَ وتُحـــيى الهُدى
أخى ، إنَّ فى القدسِ أختاً لنا
أعَدَّ لهـــا الذابحـــونَ المُدى
صــبـرنا على غَدْرِهِمْ قــادرينَ
وكـنـا لَهُمْ قَدَراً مُرصـــــــدا
طَلَعْنا عليــــهِمْ طلوعَ المنونِ
فطاروا هَبـاءً ، وصـاروا سُدى

أخى ، قُمْ إلى قبلةِ المشرقَيْنِ
لنحمى الكنيسةَ والمسجدا
أخى ، قُمْ إليها نشقُّ الغمارَ
دماً قانياً ولظى مرعدا
أخى ، ظمئتْ للقتالِ السيوفُ
فأوردْ شبَاها الدمَ المُصْعدا
أخى ، إن جَرَى فى ثراها دمى
وشبَّ الضرامُ بها موقدا
ففتِّشْ على مهجةٍ حُرَّةٍ
أبَتْ أن يَمُرَّ عليها العِدا
وَخُذْ رايةَ الحقِّ من قبضةٍ
جلاها الوَغَى ، ونماها النَّدى
وَقَبِّلْ شهيداً على أرضها
دعا باسمِها اللهَ واستشهدا
فلسطينُ يَفدى حِماكِ الشبابُ
وجلَّ الفدائى والمُفتدى
فلسطينُ تحميكِ منا الصدورُ
فإمَّا الحياة وإمَّا الرَّدى

٢ - مصر

هَوىَ لكِ فـيـهِ كلُّ ردىً يُحَبُّ
فَديتُك ! هل وراءَ المـوتِ حُبُّ ؟
فديتُكِ مصرُ ، كلُّ فتىً مشوقٌ
إليكِ ، وكلُّ شـيخ فـيكِ صَبُّ
ويحـلـمُ بـالفِدَى طـفلٌ فـطيمٌ
وكلُّ رضـيـعةٍ فى المَهْدِ تحـبُو
أراكِ و أينمـا ولَّيتُ وجـهى
أرى مـهَجـاً لوجـهكِ تَشْرئبُّ
وأرواحـاً عليكِ مـحـوِّمـات
لها فـوقَ الضِّفافِ خُطىً ووثْبُ
عليـهـا من دَمِ الغـادينَ غـارٌ
له بيـديكِ تضـفـيـرٌ وعَضبُ
حَمَتْكِ صـدورُها يومَ التَّنادى
ووقَّتْكِ الليـالىَ وهـىَ حَرْبُ
إذا رامـتكِ عـاديةٌ وشـقَّتْ
فـضـاءَكِ غـيلةٌ ورمـاكِ خَطْبُ
دَعَتْ بالنّهـرِ فَهُوَ لَظىً ووقْدٌ
وبالنَّسمات فهى حصىً وَحصْبُ

وبالشـجـرِ المنوَّرِ فـهـو غـيلٌ
وكلُّ غُصـــونِهِ ظُفـــرٌ وخِلْبُ
حـقـائقُ عن يدِ الإيمـانِ ترمى
صـــواعقَ وَمْضُهـا رُجْمٌ وشُهْبُ
لهـا فى مـهـجـةِ الجـبَّارِ فَتكٌ
وفى عـينيـهِ إيمـاضٌ وسكْبُ
صَنائعُ كـــالغنائيَّاتِ يَشْدُو
بها شرقٌ ، ويُلْقِى السمعَ غَرْبُ

✍ ✍ ✍

٣ - أغنية الجندول
فى كَرنڤال ڤينيسيَا

أين منْ عــينىَّ هاتيكَ المجــالى
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ
أينَ عُشَّاقُكِ سُمَّارُ الليـــالى
أين من واديكِ ، يا مهدَ الجمالِ
موكبُ الغيدِ وعيدُ الكرنڤــال
وسُرَى الجُندولِ فى عَرْضِ القنالِ
بين كأسٍ يتشهَّى الكرمُ خمرَهْ
وحبيبٍ يتمنَّى الكأسُ ثغرَهْ
إلتقتْ عينى بهِ أوَّلَ مرَّهْ
فعرفتُ الحبَّ من أوَّلِ نظرَهْ
أينَ من عــينىَّ هاتيكَ المجــالى
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ
مرَّ بى مُستضحِكاً فى قُرْبِ ساقى
يَمزُجُ الراحَ بأقداحٍ رِقاقِ
قد قَصَدْناهُ على غَيْرِ اتفاقِ
فنظرنا ، وابتسمنا للتَّلاقى

وهو يَســتــهـدِى على المَفْرِقِ زهرَهْ

ويُســــــــوِّى بِيَدِ الـفِتْنَة شَعْرَهْ

حــينَ مـــسَّتْ شَفَتِى أوَّلُ قطرَهْ

خِلْتُهُ ذوَّبَ فـى كــــــاسـىَ عِطْرَهْ

أينَ مِنْ عــينىَّ هاتيكَ المجــالى

يا عـروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الخيـالِ

قلتُ ، والنشوةُ تسرى فى لسانى :

هاجتِ الذكـرى ، فـأينَ الهَرَمـانِ ؟

أين وادى السِّحرِ صدَّاحَ المغانى ؟

أينَ مـــاءُ النيل ؟ أين الضِّفَّتَان ؟

آهِ ، لو كنتَ مـعى نخـتــالُ عَبْرَهْ

بشــــراعٍ تَســـبحُ الأنجمُ إثْرَهْ

حـــيث يَروى الموجُ فى أرخمِ نَبْرَهْ

حُلْمَ ليلٍ من ليــالى كليــوبتــرَهْ

أينَ مِنْ عــينىَّ هاتيكَ المجــالى

يا عـروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الخيـالِ

أيهـا الملاحُ ، قِفْ بينَ الجـســورِ

فــتنةِ الدنيــا ، وأحــلامِ الدهورِ

صــــفّقَ الموجُ لـولدانٍ وحــــورِ
يُغــرقــونَ اللّيْلَ فـى يَنبــوعِ نورِ
مــــا ترى الأغْيَدَ وضّاءَ الأسرّهْ ؟
دقّ بـالسّاقِ وقـــــد أسْلَمَ صَدْرَهْ
لِمُحبٍّ لـفّ بـالســــاعِدِ خَصْرَهْ ؟
ليتَ هـذا الليلَ لا يُطْلِعُ فــجــرَهْ !
أينَ منْ عــينىْ هـاتيكَ المجـــالى
يا عـروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الخيـالِ
رَقَصَ الجُندولُ كـــالنّجْمِ الوضىّ
فاشْدُ ، يا ملاحُ ، بالصوتِ الشجىّ
وتَرَنّمْ بـالـنـشـــــيـــــدِ الوثَنىّ
هذهِ الليلةُ حُلْمُ العَبـــــقـــــرىّ

شــاعتِ الفـرحـةُ فـيــهـا والمَســرّهْ
وجَلا الحُبُّ عــلــى الـعُشّاقِ سِرّهْ
يَمْنَةً مِلْ بـى ، عـلـى المـاءِ ، ويَسْرَهْ
إنّ لـلـجـنـدولِ تحـتَ الـلـيلِ سِحْرَهْ
أينَ ، يـا ڤينيسيا ، تلك المجـالى ؟
أينَ عُشّـــاقُكِ سُمّارُ اللـيـــالى ؟

أينَ من عـينـيَّ أطيـافُ الجـمـالِ ؟

مَوْكبُ الغْيـدِ وعـيدُ الكرنڤـالِ ؟

يا عروسَ البحر ، يا حُلْمَ الخَيالِ !!

✍ ✍ ✍

٤ - ليالى كليوبتره

كليوبترا ! أىُّ حُلْمٍ من لَياليكِ الحسانِ
طافَ بالمَوْجِ فـغنَّى ، وتغَنَّى الشـاطئـانِ
وَهفَا كلُّ فـؤادٍ ، وشـدَا كلُّ لسـانٍ :
هذهِ فـاتنـةُ الدُّنْيـا وحـسـناءُ الزَّمـانِ

بُعِثَتْ فـى زورقٍ مُسْتَلْهَمٍ مـن كـلِّ فـنِّ
مَرِحِ المجـدافِ يخـتـالُ بحـوراءَ تُغنِّى

يـا حَبـيـبى ، هـذهِ ليلـةُ حُبِّى
آهِ لو شـاركـتَنى أفـراحَ قَلْبى !

نبأةٌ كالكأسِ دارتْ بين عُشَّاقٍ سُكارَى
سَبَقَتْ كلَّ جَناحٍ فى سـماءِ النيلِ طارا
تحملُ الفتنةَ ، والفرحةَ ، والوجدَ المُثَارا
حلوةٌ صـافيةَ اللَّحْنِ كـأحْلامِ العذارى

حُلْمُ عَذراءَ دعـاها حـبُّهـا ذاتَ مسـاءِ
فـتَغَنَّتْ بشـراعٍ من خَيـالِ الشـعـراءِ

يـا حَبـيـبى ، هـذهِ ليلـةُ حُبِّى
آهِ لو شـاركـتَنى أفـراحَ قَلْبى !

وتَجلّىً الزورقُ الصـاعدُ نشوانَ يَمـيدُ
يَتَــهـدَّاهُ على الموجِ نَواتيٌّ عــبـيــدُ
المجـاديفُ بأيديهمْ ، هتـافٌ ، ونشـيـدُ
ومُصَلُّونَ لَهُمْ فى النهرِ مِحرابٌ عتـيدُ
سَحَــرَتْهم رَوْعَةُ اللَّيلِ فَهُمْ خَلْقٌ جَديدٌ
كلُّهمْ رَبٌّ يُغَنِّى وإلهٌ يَســتــعــيــدُ
يا حَبــــيـــــبى ، هـذهِ لـيلـةُ حُبِّى
آهِ لو شـــاركـــتَنى أفـــراحَ قَلْبى !
إصدَحى ، أيتها الأرواحُ ، باللَّحْنِ البديعِ
إمرَحى ، يا راقصاتُ الضوءِ ، بالمَوْجِ الخليعِ
قَبِّلى ، تحتَ شراعى ، حُلْمَ الفنِّ الرفيعِ
زورقاً بينَ ضفافِ النيلِ فى ليلِ الرَّبيعِ
رنَّحَتْهُ مـوجـةٌ تَلعبُ فى ضـوءِ النُّجـومِ
وتنادى بشـعـاعٍ راقصٍ فـوقَ الغـيـومِ
يا حَبــــيـــــبى ، هـذهِ لـيلـةُ حُبِّى
آهِ لو شـــاركـــتَنى أفـــراحَ قَلْبى !
ليلُنا خـمــرٌ وأشــواقٌ تُغَنِّى حــولنـا
وشــراعٌ ســابحٌ فـى النُّور يَرْعَى ظِلَّنا

كانَ فى اللّيْلِ سكارَى ، وأفاقوا قبلَنَا
لَيْتَهُمْ قد عَرَفوا الحبَّ فباتوا مثْلَنَا
كلّما غرّدَ كأسٌ شربوا الخمرةَ لحناً
يا حبيبى ، كلُّ ما فى اللّيلِ روحٌ يتغنّى
هاتِ كأسى ، إنها ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !
يا ضفافَ النيلِ بالله ويا خُضْرَ الروابى
هل رأيتنَّ على النَهْرِ فتىً غَضَّ الإهابِ
أسمرَ الجبهةِ كالخمرةِ فى النُّورِ المُذابِ
سابحاً فى زورقٍ من صنْعِ أحلامِ الشبابِ ؟
إنْ يكُنْ مَرَّ وَحَيَّا من بعيدٍ أو قريبِ
فَصفيهِ ، وأعيدى وصْفَهُ ، فهو حبيبى!
يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !
أنتِ يا من عُدْتِ بالذكرى وأحلامِ الليالى
يا ابنةَ النَّهرِ الذى غَنَّاهُ أربابُ الخيالِ
وتمنَّتْ فيهِ لو تسبحُ ربَّاتُ الجمالِ
موجهُ الشَّادى عشيقُ النُّورِ ، معبودُ الظِّلالِ

لم يَزَلْ يَروِى ، وتُصـغى للرواياتِ الدهورُ
والضفافُ الخضْر سكرى ، والسَّنى كأسٌ تدورُ
حُـلُـمٌ لـم تـرْوِه لـيـلـةُ حُبٍّ
فاذكريه ، واسمعى أفراحَ قلبى !

✍ ✍ ✍

٥ - العام الهجرى الجديد

غَنِّ بالهجرة : عاماً بعدَ عامِ
وادْعُ للحقِّ ، وبشِّرْ بالسَّلامِ
وترسَّلْ ، يا قَصيدى ، نَغَماً
وتنقَّلْ بين مَوْجٍ و غمامِ
صوتُكَ الحقُّ ، فلا يأخُذْكَ ما
فى نواحى الأرضِ من بَغْيٍ و ذامِ
كُنْ بشيرَ الحبِّ والنورِ إلى
مُهَجٍ كلْمَى ، وأكبادٍ دَوامى
هَجَرَتْ أوطانَهَا واغتربتْ
فى مثالىٍّ من المبدإِ سامِ
أنِفَتْ عيشَ الرقيقِ المجتَبى
وأَبَتْ ذُلَّ الضَّميرِ المسْتضامِ
يا دُعاةَ الحقِّ : هذى محنةٌ
تُشْعِلُ الرُّوحَ بمشبوبِ الضرامِ
هذهِ حربُ حياةٍ ، أو حِمامِ
وصراعُ الخيرِ ، والشَّرِّ العُقامِ

خاضها الإسلامُ فرداً ، وهَدَى
بيراعٍ ، وتحدَّى بحسام
هجرةٌ كانت إلى اللهِ ، وفى
خطْوِهَا : مولِدُ أحْداثٍ جِسام
أخطأ الشيطانُ مَسْراها ، فيا
ضَلَّةَ الشيطانِ فى تلك المَوامى !
آبَ بالخَيْبَةِ من غايتِهِ
وهو فوقَ الأرضِ ملعونُ المقام
صفحاتٌ من صراعٍ خالدٍ
ضُمِّنَتْ كلَّ فخارٍ ووسام
لم تُتَحْ يوماً لجبَّارٍ طَغَى
أو لباغٍ فاتكِ السَّيْفِ عُرام
بل لدَاعٍ أعزلٍ فى قومِهِ
مستباحِ الدَّمِ مهدورِ الذِّمام
زلزلَ العالمَ من أقطارِهِ
بِقُوَى الرُّوحِ على القَوْمِ الطَّغام
وبَنَى أوَّلَ دنيا حُرَّةٍ
بَرِئتَ من كلِّ ظلمٍ وأثام

تَسَعُ الـنـاسَ عـلـى ألـوانـهـم
لم تـفـرِّقْ بـين أرىً وسـامـى

* * *

حـاطِمَ الأصنامِ : هَلْ منكَ يَدٌ
تَذَرُ الظلمَ صـديعـاً من حُطامِ ؟
لم تُطِقْهـا حـجَراً أو خَشَبـاً
ويُطاق اليـومَ أصنامُ الأنامِ !!
وعـجـيبٌ صُنْعُهم فى زمنٍ
أبْصَرَ الأعـمى به والمتَعـامى !
وتُرجى عـودةَ المجـدِ الذى
أعجزَ البَانى ، وأعيَا المتسامى
من بيـوتٍ هاشـميَّاتِ البنَى
وعُروشٍ أمـويَّاتِ الدعـامِ
ونتـاجٍ من نُهىً جـبَّارةٍ
وتراثٍ من حَضَاراتٍ ضـخـامِ
قلْ لها ، يا عامُ : لا هُنْتِ ، ولا
كنتِ إلا مـهـدَ أحـرارٍ كـرامِ
ذاكَ مـجـدٌ لم ينَلْهُ أهلُه
بالتـمنِّى ، والتـغنِّى ، والكلامِ

بل بـآلامٍ ، وصــــــبْرٍ وضنىً
ودمـــوعٍ ، ودمٍ حُرٍّ ســـجــام
قُلْ لـهـــا : إنَّ الرَّحى دائرةٌ
واللَّيـــالى بَيْنَ كـــرٍّ وصـــدام
فــاســتـعـدى لغــدٍ إنَّ غــداً
نُهْزَةُ السـبَّاقِ فى هذا الزحــامِ !
واجـــمـــعى أمـــركِ لليَوْمِ الذى
يَحْمِلِ البُشْرَى لعُشَّاق الســلامِ !

✍ ✍ ✍

٦ - البحيرة

عن الفونس لامارتين

ليتَ شـعـرى أهكذا نحنُ نمضى
فى عُبـابٍ إلى شـواطئَ غُمْضِ
ونخـوضُ الزمـانَ فى جُنْحِ ليلٍ
أبدىٍّ ، يُضنى النفـوسَ ويُنضى
وضفـافُ الحياةِ ترمُقُها العيـ
ـنُ فـبعضٌ يمـرُّ فى إثرِ بعضِ
دون أنْ نملكَ الرجـوعَ إلى مـا
فـاتَ منها ، ولا الرسوَّ بأرضِ ! ؟

* * *

حَدِّثى القلبَ ، يا بحيـرةُ ، مـالى
لا أرى « أولفـيرَ » فوقَ ضفافِكْ
أوْشكَ العـامُ أن يمـرَّ ، وهذا
مـوعـدٌ للقـاءِ فى مُصطافِكْ
صـخرةَ العهدِ ! ويكِ ، هأنذا عُدْ
تُ ، فماذا لديكِ عن أضيافِك ؟

عدتُ وحدى أرعَى الضفافَ بعينٍ
سفكتْ دمعَها الليالى السوافِكْ

* * *

كنتِ بالأمسِ تهدرينَ كما أنـــ
ـــتِ هديراً يهـــزُّ قلبُ السكونِ
وضـــفـــافٍ أمــواجُهَا يتــداعـــ
ـــين على هذهِ الصــخـورِ الجـونِ
والنســـــيمُ العليلُ يدفعُ وَهْنًا
زَبَدَ الموجِ للربُّى والحـــــزونِ
ملقــيــاً رغـوَها على قَدَمَيْهـــا
ليِّنَ المسِّ مـــســـتـــحبٌّ الأنينِ

* * *

أتُرى تــذكـــــــرينَ ليلةَ كنا
منكِ فوقَ الأمواجِ ، بينَ الضفافِ
وســــرى زورقٌ بنا يتـــهـــادى
تحتَ جنحِ الدُّجى وسترِ العفافِ ! ؟
فى سكونٍ ، فليسَ نسمعُ فوق المـــ
ـــوجِ إلا أغـــانىَ المجـــدافِ

تتـــلاقى علـى الرُّبى والحـــوافى

بأناشــيــدِ مــوجِكِ العــزَّافِ ؟ ؟

*   *   *

وعلى حـــينِ غـــرةٍ رنَّ صـــوتٌ

لـم يُعَوِّدْ ســـــمـــــاعَه إنسـىٌّ

هبطَ الشاطئَ الطروبَ فما يُسمـ

ـــعُ فـــيـــهِ للهـــاتفـــاتِ دوىٌّ

وإذا الليلُ ســـــاهمٌ سكَنَ النو

ءُ إليـــــــهِ وأنصتَ اللـجىُّ

يتلقى عن نبـأةِ الصـوتِ نجـوى

كـلمــــــاتٍ ألـقى بـهنَّ نجىُّ

*   *   *

يا زمـانـاً يمـرُّ كـالطيـرِ مـهـلاً

طائرٌ أنتَ ؟ ويكَ ، قِفْ طيـرانَكْ !

أهناءَ الســاعــاتِ تجـرى وتعـدو

نا عطاشــاً ، فـقف بنا جـريانك !

ويكَ دَعنا نمرحْ بـأجـــــملِ أيا

مٍ ونَلقى ، من بَعْدِ خـوفٍ ، أمـانكْ

وإذا نحن لَذَّةَ العيش ذقنا

ها ومرَّت بنا فَدُرْ دَوَرَانكْ !

* * *

بَيْدَ أنَّ الشقاءَ قد غَمَرَ الأر

ضَ وفاضَ الوجودُ بالتاعسينا

كلهمْ ضارعٌ إليك يرجِّيك

فأسرعْ ! أسرعْ ! إلى الضَّارعينا

وافترس مُشْقِيات أيامهمْ وامـ

ـضِ رحىً تطحنُ الشقاءَ طحونا

رحمةً ، فاذكرِ النفوسَ الحزانى

وانسَ ، يا دهرُ ، أنفسَ الناعمينا !

* * *

عبثاً أنشدُ البقاءَ لعهدٍ

يَفْلِتُ اليومَ من يدى ويفرُّ

وسويعاتِ غبطةٍ ما أراها

ووشيكاً ما تنقضى وتمرُّ

وأنادى يا ليلةَ الوصلِ قرِّى

إن بعد السُّرى يطيبُ المقرُّ

أســفــاً للصبّــا وغــرٍّ ليــالٍ

ليس يُبقى على صـبـاهنّ فـجـرُ

* * *

فلنحبَّ الغـــداةَ ولنحىَ حبًّا

ولنكنْ فى الحياةِ بعضاً لبعضِ

ولنســارعْ فنقتـفى إثرَ ســاعـا

تٍ فـقـد تؤذنُ النوى بالتـقـضّى

إننا فى الحـيـاةِ فى عُرْضِ بحـرٍ

ليس نُلقى المرساةَ فـيـهِ بأرضِ

مـا بـه مـرفـأ يَبـينُ ولكنْ

نحن نمضى فى لجِّه ، وهو يمضى !

* * *

أكـذا أنتَ ، أيهـا الزَمَنُ الحـا

قـدُ ، تغـتـالُ نشـوةَ اللحظاتِ ؟

حـيثُ يُزجِى لنا السـعـادةَ أمـوا

جـاً من الحبِّ زاخـرُ اللجـاتِ ؟

أكـذا أنت ، ذاهبٌ بليـالى الصـ

ـفـوِ عنا سـريعـةَ الخطواتِ ؟

أكــذا تنقــضى مــلاوةُ نعــمــا
ها كمـا ينقـضى شـقـاءُ الـحـيـاة ؟

* * *

كيفَ حـدِّثْ : أغـالهـا منك صـرفُ
فى أبيـدِ الزَّمــانِ حـيثُ طواها ؟
ويكَ ، قل لى ، أليسَ نملكُ يومــاً
أن نراها ؟ أمــا تبــينُ خُطاها ؟
أتراها ولَّتْ جــمـــيــعـــاً ، ولما
تبقَ حـــــتـى آثارُها ، أتراهـا ؟
أوَذاكَ الدهرُ الذى افتنَّ فى صـــو
غِ صبـاها هو الذى قد مـحـاها ؟

* * *

أيُّهــذا الزمــانُ ، والعـدمُ العــا
تى ، غـريقـين فى سكونٍ وصـمتِ
أىْ عــمــيقَ اللجــاتِ : مــاذا بأيا
مِ صـبـانا ؟ مــاذا بهنَّ صنعتِ ؟
حـدثينى ، أمـا تعـيـدينَ مـا من
سكراتِ الـغــرامِ منا اخــتطفتِ ؟

أوَ مـا تُطلقـينهـا من دياجـيـ

ـكِ ؟ أمـا تبـعـثـينهـا بعدَ مـوتٍ ؟

* * *

أنتِ ، يا هذهِ البـحـيـرةُ ، مـاذا

يكتمُ الموجُ فـيـكِ والشـطآنُ

أيـهـا الـغـابةُ الظليلةُ رُدِّى

أنت ، يا من أبقى عليـهـا الزمـانُ

وهو يسطيعُ أن يُجِدَّكِ حـسناً ! !

إحـفظى لا أصـابكِ النسـيـانُ ! !

قلَّ حـفظاً أن تذكـرى ليلةً مـرَّ

تْ وأنتِ الطبـيـعـةُ الحـسَّانُ

* * *

ليَكُنْ منكِ ، يا بحـيـرةُ ، مـا لجَّ

بكِ الصـمتُ أو جنونُ اصطخـابكْ

فى مـغـانيكِ حـاليـاتٍ تراءى

ضـاحكاتٍ على سـفـوحِ هِضـابكْ

فى مـروج الصنَّوبرِ الحـوِّ تهـفـو

سـابغـاتُ الأليـافِ حـولَ شـعـابكْ

فى نتوءِ الصخورِ ، مشرفةِ الأعنا
قِ ، بيضاً ، تُطلُّ فوقَ عُبابكْ

* * *

وليكنْ فى العُبابِ يهدرُ أمـ
ـواجاً على شاطئيك مثلَ الرعودِ
فى انتحابِ الرياح تُعول فى الودي
ـانِ إعوالَ قلبىَ المفؤودِ
فى صدى الجدولِ الموقّع أنّا
تِ حشاهُ بالجندلِ الجلمودِ
فى شذاكِ السرىِّ ينشقُ منه الـ
ـقلبُ ريّاً فردوسهِ المفقودِ ! ؟

* * *

وليكن فى النسيم ما هبَّ سار
يهِ يجوبُ الشطآن نحوكِ جَوْيا
فى جبينِ النجمِ اللجينىِّ يُلقى
فِضّةَ الضوءِ فى مياهكِ ذَوْيا
وليكنْ فى شتيتِ ما تسمعُ الأذ
نُ ، وفيما نراهُ عيناً وقلباً

ليكنْ هـاتفٌ منَ الصـــــوتِ يتلو

« قـد أحـبًا وأخلصـا مـا أحـبـا »

✍ ✍ ✍

٧ - قبر شاعر

رثاء فوزى المعلوف

رفّت عليـه مـورقـاتُ الغـصـونْ
وحـفّهُ العـشْبُ بنـوّارِهِ
ذلكَ قـبـرٌ لم يُشـدْهُ المنونْ
بلْ شـادهُ الشـعـرُ بآثارِهِ
أقـامَهُ مـن لـبِنـاتِ الـفـنونْ
وزانهُ المجـدُ بأحـجـارِهِ
ألقى به الشـاعـرُ عِبءَ الشـجـونْ
وأودعَ القـلـبَ بـأسـرارِهِ

* * *

وجـاورتْهُ نـخـلـةٌ باسـقَهْ
تجـثُم فى الوادى إلى جنبـهِ
كـأنهـا الثـاكلةُ الوامـقَهْ
تقـضى مـدى العُمْرِ إلى قـربهِ
تئنُّ فـيـهـا النسـمـةُ الخـافـقَهْ
كـأنما تخـفـقُ عن قلبـهِ

وتُرسلُ الأغنيةَ الشائقَةْ

قمْريةٌ ظلَّتْ على حبِّهِ

* * *

ويُقبلُ الفجرُ الرقيقُ الإهابْ

يحنو على القبرِ بأضوائهِ

كأنما ينشُدُ تحتَ التراب

لؤلؤةً تُزرى بلألائهِ

إستلَّ منها الموتُ ذاكَ الشهابْ

غيرَ شعاعٍ ، في الدُّجى ، تائه

يَظَلُّ يهفو فوقَ تلكَ الشعابْ

يطوفُ باليَنبوعِ من مائهِ

* * *

ويذهبُ النُّورُ ويأتي الظلامْ

وتبزغُ الأنجمُ في نسقهِ

حيرى ، تحوم الليلَ كالمستهامْ

أسهرهُ الثائرُ منْ شوقهِ

تبحثُ عن نجمٍ بتلكَ الرجامْ

هوتْ به الأقدارُ عن أفقهِ

أخٌ لهـــا فى الأرضِ ودُّ المقـــامْ
وآثر الغـــربَ على شـــرقـــهِ

* * *

ويُطلقُ الطيـرُ نشـيـدَ الصـبـاحْ
بنغـــمـــةٍ تصـــدُرُ عن حُزنهِ
يَمُدُّ فـــوقَ القـــبـــرِ منهُ الجناحْ
ويرسلُ المنقـــــارَ فـى ركنـهِ
أفـضـى إلى الراقـدِ فـيـه وَباحْ
بـأنَّهُ المـلـهـمُ مـن فـنِّهِ
فَمِنْ قـوافـيـهِ اسـتـمـدَّ النُّواحْ
ومن أغـــانيـــهِ صـــدى لحنهِ

* * *

وحـين تمضـى نَسَمَاتُ الخـريفْ
وتملأُ الأرضَ رياحُ الشـتـاءْ
ويقـبلُ الليلُ الدَّجِيُّ المخـيفْ
فـلا ترى نجـمـاً ينيـرُ السـمـاء
هناكَ لا غـــصـنٌ عليـــهِ ورَيفْ
يهـفـو ، ولا طيـرٌ يثـيـرُ الغناء

يظلِّلُ الأرضَ الظلامُ الكثيفْ
كأنما تُمسى بوادى الفناءْ

* * *

يا شاعراً ما جمعتنى بهِ
كواكبُ الليلِ وشمسُ النهارْ
لكنَّه الشرقُ وفى حبِّهِ
ينأى بنا الشوقُ وتدنو الديارْ
سكبتَ من شجوكَ فى قلبه
ومن مآقيكَ الدموع الغِزار
فودَّ أنْ لو نِمْتَ فى تربهِ
ليشفىَ النفسَ بهذا الجوارْ

* * *

قد راعنى موتُكَ ، يا شاعرى
فى ميعةِ العمرِ وفجرِ الشبَابْ
وهزَّنى ما فاضَ من خاطرِ
كانَ ينابيعَ البيانِ العِذَابْ
ونفثاتُ القَلَمِ الساحرِ
فى جوبكِ الأُفقَ وطىَّ السحابْ

ووقـــفـــةٌ بالكوكبِ الحـــائرِ

رأى بســـــاطَ الريحِ يدنـو فَهَابْ

* * *

لـكنّهُ شـــعـــــركَ لمَّا يَزَلْ

يُردِّدُ الـكونُ أناشــــيـــدَهُ

شِعـرٌ كَصـوْبِ الغـيثِ أنَّى نزلْ

أرقصَ فى الرَوْضِ امـــاليـــدَهُ

وعلَّم الطـيـــرَ الهــوى والـغَزَلْ

فـــأســمعَ الزهرَ أغـــاريدَهُ

وَغَنَّتِ الــريـــحُ بـــه فـــى الجَبَلْ

فـــحـــركتْ منهُ جـلامــيـــدَهُ

* * *

يا قـــبـــرُ لم تُبْصِرْكَ عـــينى ولا

رأتك إلا فـى ثنايا الخـــيـــالْ

مـــلأتَ بالرَّوْعِ فـــؤاداً خـــلا

إلا من الحـبِّ ونورِ الجـــمـــالْ

أوحـيتَ لى ســرَّ الردى فـانجلى

عن عـينىَ الشكُّ وليلُ الضـــلالْ

ـ ذأ ســتطوى القلبَ أيدى البلى
ويقنصُ النجمَ عــقــابُ الليــالْ

* * *

هكذا تمضى ليــالى الحـيــاهْ
والقــبــرُ مــازالَ على حــالهِ
دنيـــــا مـن الوَهْمِ ودهـرٌ تـراه
يـغَرِّرُ الـقـلـبَ بـآمـــــالـهِ
يســخـرُ من مـبـتـسـمـاتِ الشـفـاهْ
وجـــامـــدِ الدمعِ وسَيَّالـهِ
دهـرٌ على العـــالـمِ دارتْ رحـــاهُ
فـلـم تَدَعْ رســـــمــــاً لأطلالـه

✍ ✍ ✍

٨ - شاعر مصر

فى رثاء حافظ إبراهيم

دَعَوْتَ خَيالى فاستجابتْ خواطرى
وحــــدَّثنى قلبى بأنكَ زائرى
عَشِيَّةَ أغرى بِى الدُّجى كلُّ صائحٍ
وكلُّ صدىً فى هَدْأةِ الليلِ عابرِ
أقولُ مَنِ السَّارى ؟ وأنتَ مُقَارِبِى
وأهتفُ بالنَّجْوَى ، وأنتَ مُجاوِرِى
أُحِسُّكَ مِلءَ الكونِ رُوحاً وخاطراً
كأنَّك مبعوثُ الليالِى الغوابرِ
ومثَّلَ لى سمْعى خُطاكَ ، فخِلْتُها
صَدَى نبأٍ من عالمِ الغَيْبِ صادرِ
سِوى خطراتٍ من بَنانٍ رفيقةٍ
طَرَقْتَ بها بابى فَهَبَّتْ سرائرى
عرفتُكَ ، لم أسمعْ لصوتِكَ نَبْأةً
وشِمْتُكَ ، لم يَلْمَحْ مُحَيَّاكَ ناظرى
أرى طَيْفَ معشوقٍ ، أرى روحَ عاشقٍ
أرى حُلْمَ أجيالٍ ، أرى وجهَ شاعرِ

* * *

إِلَيْكَ ضِفافَ النيل ، يا روحَ حافظٍ ،
فَجدِّدْ بها عهدَ الأنيسِ المُسامِرِ
وساقِطْ جَنَاها من قوافيكَ سَلْسَلاً
رَخِيماً كأرْهامِ النَّدى المُتناثِرِ
سَرَتْ فيه أرواحُ النَّدامَى ، وصَفَّقَتْ
كؤوسٌ على ذِكْرِ الغريبِ المسافرِ
نَجِيٌّ الليالى القاهريَّاتِ : طُفْ بها
خَيَالَةَ ذكرى ، أو عُلاَلَةَ ذاكرِ
وجُزْ عالَمَ الأشباحِ ، فالليلُ شاخصٌ
إليكَ ، وأضواءُ النجومِ الزَّواهرِ
وطالِعْ سماءً فى مَعَارِجِ قُدْسِها
مَرحْتَ بِوُجْدانٍ من الشِّعرِ طاهرِ
وسَلْسَلْتَ من أندائِها وشُعاعِها
جَنَى كَرْمَةٍ لم تَحْوِها كفُّ عاصرِ
تَدَفَّقَ بالخمرِ الإلهيِّ كأسُها
فغرَّدَ بالإلْهَامِ كلُّ مُعاقِرِ
عَلَى النِّيل رُوحانيةٌ من صَفائِها
وَلألاءُ فجرٍ عن سَنَا الخُلْدِ سَافرِ

فـــصـــافِحْ بعــينيكَ الدِّيارَ فطالما
مَدَدْتَ على آفـــاقِهـــا عـــينَ طائرِ
وخُذ فى ضِفافِ النهر مَسْراكَ ، واتَّبِعْ
خُطَى الوحْيِ فى تلكَ الحقولِ النَّواضرِ
حـــدائقُ فـــرعَونٍ بدفَّاقِ نَهـــرِها
وجَنَّتُهُ ذاتُ الجَنَى والأزَاهـــــــرِ
وفى شُعَبِ الوادى ، وفـوقَ رمـــالهِ
عِصـىُّ نبىٍّ ، أو تَهَاويلُ ســـاحـــرِ
صـوامعُ رُهْبـانٍ ، مَحـاريبُ سُجَّدٍ ،
هيـاكِلُ أربابٍ ، عـروشُ قـيـاصـرِ
سَرَى الشـعرُ فى باحـاتها روحَ ناسكٍ
وترديدَ أنفـاسٍ ، ونَجْوَى ضـمـائرِ
وهمْسَ شِفـــاهٍ تَشْمَلُ الروحُ عندَهُ
وتَسْبَحُ فى تِيـهٍ من السِّحْرِ غـامـرِ
هو الشـعرُ ، إيقاعُ الحياةِ وشَدْوُها
وحُلْمُ صبِـــاها فى الرَّبيعِ المُبـــاكِرِ
وصـــوتٌ بأسـرارِ الطبيـعـةِ ناطقٌ
ولـكنَّه روحٌ ، وإبداعُ خـــــــاطرِ

ووثْبَةُ ذهنٍ ، يَقْنِصُ البـرقَ طائراً

ويغـزو بروجَ النَّجْمِ غـيرَ مُحـاذِرِ

فـيـا دُرَّةً لم يحـوِها تاجُ قـيـصـرٍ

ولا انتظمتْ إلا مـفــارقَ شــاعِرِ

تألَّه فـيكِ القلبُ واسـتكبـرَ الحِجَى

على دَعَةٍ ، من تَحْتِـهـا روحُ ثائرِ

إذا اعترضَ الجبَّارُ ضَوءَكِ شامخاً

تَلقَّيْتِهِ كـبْراً ببَسْمَةِ سـاخـرِ

لَستِ حـديدَ القَيْدِ فـانحلَّ نظمُه

وأطلقتِ أسـرَى من براثِنِ آسِرِ

ومـا زِدْتِ في الأحداثِ إلا صـلابةً

إذا النَّارُ نالتْ من كِرامِ الجـوَاهرِ

يزينُ بكِ الرَّاعي سـقـيـفـةَ كُوخِهِ

فـتـخـشَعُ حَيْرَى نيِّراتُ المقـاصـرِ

أضاعوكِ في أرضِ الكنوزِ ، وما دَرَوْا

بـأنكِ كَنْزٌ ضَمَّ أغْلَى الذَّخـائرِ

وهُنتِ على مـهـدِ الفنونِ ، وطالما

سـمـوتِ بسلطانٍ من الفنِّ قـاهِرِ

إذا افــتــقــدَ التــاريخُ آثارَ أُمَّةٍ
أشَرْتِ بما خلَّدتهِ من مــــآثرِ

* * *

سَلاماً ، سَلاماً ، شاعرَ النيلِ : لم يزَلْ
خــيــالُكَ يَغْشَى كلَّ نادٍ وســـامرِ
وشــعــرُكَ فى الأفــواهِ إنشــادُ أمــةٍ
تغنَّتْ بماضٍ واســتــعــزَّتْ بحــاضرِ
وذِكْراكَ نَجْوى البائسينَ ، إذا هَفَتْ
قلوبٌ ، وحــارتْ أدْمُعٌ فى المَحــاجِرِ
يَدُلُّ عــلــيكَ الــقــلــبَ أنَّاتُ بــائسٍ
ونظرةُ مـــحْزونٍ ، وإطراقُ ســـادِرِ
ومـــا أنتَ إلاَّ رائدٌ من جــمـــاعـــةٍ
تَوالُوا تِبــاعــاً بالنُّفــوسِ الحــرائرِ
صَحَتْ بادياتُ الشَّرْقِ تحتَ غُبــارِهِمْ
علــى شَدْوِ أقــــــلامٍ ولمعِ بواترِ
وفى القِمَمِ الشمَّاءِ ، مِنْ صَرَخاتِهِم ،
صَدَى الرعدِ فى عَصْفِ الرياحِ الثَّوائرِ
يضــيـئــونَ فى أفْقِ الحــياةِ كــأنَّهمْ
على شَطِّهـــا النَّائى منارةُ حـــائرِ

فــيــا شــاعــراً غَنَّى فَرَقٌّ لشَجْوِهِ
جَفاءُ اللَّيالى ، واعتِسافُ المقادِرِ
لَكَ الدهْرُ ، لا ، بل عالَمُ الحِسِّ والنُّهَى
خـمـيلةُ شـادٍ آخـذٍ بالمشاعـرِ
فَنَمْ فى ظلالِ الشَّرْقِ ، واهنأ بمضْجَعٍ
نَدِيٍّ بأنفـاسِ النَّبِيِّينَ عـاطِرِ
ووَسِّدْ ثـراهُ الـطُّهْرَ جَنْبَكَ وانـتَظِمْ
لِداتَكَ فـيـه ، فَهُوَ مَهْدُ العَبَاقِرِ

✍ ✍ ✍

٩ - شوقى

فى رثاء الشاعر أحمد شوقى

هَجَرَ الأرضَ حـين مَلَّ مـقـامـهْ
وطوى العمرَ حيرةً وسآمهْ
هَيْكلٌ من حـقـيـقـةٍ وخـيـالٍ
مَلَكَ الحبُّ و الجمالُ زمامَه
ألْهَمَ الشعرُ أصغريه فرقًا
فى فَمِ الدهرِ كوثراً و مُدامه
سلسبيلٌ من حكمةٍ و بيانٍ
فَجَّرَ اللهُ منهما إلهامَه
تـأخـذُ القلبَ هَزَّةٌ من تسـا
قيه ، ويَنْسى بسحره آلامه
غَمَرَ الأرضَ رحمةً وسلاماً
وجلا الكونَ فتنةً ووسامه
مـالنـا مِسْمعَ الوجودِ نشيداً
عَلَّمَ الطيرَ لحنَهُ وانسجامهْ
مـالَهُ و الزمانُ مصغٍ إليه
رَدَّ أوتاره وحطَّمَ جامَهْ ؟

رُوِّعَ الطيرُ يومَ غابَ عن الأيْـــ
ـــكِ وسالتْ جراحُها الملتامة
ما الذى شاقَهُ إلى عالمِ الرُّوْ
حِ ؟ أجَلْ تلكَ روحُهُ المستهامة !
راعها النورُ وهىَ فى ظلمة الكـ
ـكونِ فخفَّتْ إليه تطوى ظلامهْ
هى بنتُ السمــــاءِ وهو من
الأرض سليلٌ نما الترابُ عظامه
فاهتفوا باسمه فما ماتَ ، لكنْ
آثرَ اليومَ فى السماءِ مُقامهْ !

* * *

حدَّثتنى الرياضُ عنهُ صَباحاً
ما لصدَّاحِها جفا أنغامهْ ؟
وشكا لى النســــيمُ أولَ يومٍ
لم يُحمِّلْهُ للحبيبِ سلامهْ
وتسمعتْ للغديرِ يُنادى
ما الذى عاقَ طيرَه وحيامهْ ؟
أَتُراهُ ترشّفَ الفجــرَ نوراً
أم شفى من نَدَى الصباحِ أوامهْ

ورأيتُ الجـمـالَ فى شُعَبِ الوادى

ينادى بطاحَهُ و أكـــامـــهْ

صـارخـاً يسـتـجيرُ شـاعرَهُ الشـ

ـــادى ، ويدعـــو لفنِّه رسَّامـــهْ

فَتَلَفَّتُ باكـــيـــاً وبعـــينى

شَبَحٌ تخطرُ المنونُ أمـــامـــهْ

هتفَ القلبُ بالمنادينَ حـــولى :

لَقِيَ الصـــادحُ الطروبُ حِمـــامـهْ

فـــاذكـــروا شـدْوَهُ بكل صـــبـــاحٍ

وارقـــبـــوا من خَيَاله إلمامـــه

وامـلأوا الأرضَ والسـمـاءَ هُتـافـاً

عَلَّهُ لم يَرَ الصـــبـــاحَ فنامـــهْ

* * *

لم يرُعنِى من جـــانبِ النيلِ إلا

كـــرمـــةٌ فـــوقَهَا ترفُّ غَمَامـــة

تحت سـاجى ظلالـهـا زهـرةٌ تبـــ

ـــكى ، وفى فَرْعِهَا تنوحُ حـمَامـة

عـرفُـتـهـا عـينى ، ومـا أنكرتهـا ،

من ظلامٍ و وحـشـةٍ و جَهَامـة

قلتُ يا كَرْمَةَ ابنِ هانى سَلامـــاً
ليسَ للمرءِ فى الحياةِ سلامة
نحنُ ، لو تعلمينَ ، أشباحُ ليلٍ
عابرٍ يَنسخُ الضياءُ ظلامه
والذى تلمحينَ من لَهبِ الشـ
ـمسِ غداً يُطفىءُ الزمانَ ضرامه
والذى تبصرينَهُ من نجومٍ
فَلَكٌ يرصدُ القضاءُ نظامه
عَبَثاً نُنشدُ الحياةَ خلوداً ،
ونرجِّى الصِّبا ، ونبغى دوامهْ
إنما الأرضُ قبرُنا الواسعُ الرحـ
ـبُ وفى جوفِهِ تطيبُ الإقامة
أودعَ القلبُ فيهِ آلامَه الكـ
ـبدى ، وألقى ببابه أحلامه
نَسِىَ الناعمونَ فيه صباهُمْ
وسلا المغرمُ المشوقُ غرامهْ
فامسحى الدمعَ وابسمى للمنايا
إنَّ دنياكِ دمعةٌ وابتسامة ! !

* * *

أيهـا المسـرحُ الحـزينُ عـزاءً
قـد فـقـدتَ الـغـداةَ أقـوى دِعـامـه
ذَهَبَ الشـاعـرُ الذى كنتَ تسـتـو
حى وتسـتلهمُ الخلودَ كـلامـهْ
ولكَ اليـومَ همـةٌ فى شـبـابٍ
مـلأوا العـصـرَ قـوةً و همُامـهْ
نزلوا سـاحَةُ يشـيـدونَ للمـجـ
ـدِ وشـقُّوا إلى الحـيـاةِ زحـامـه
فـاذكـروا نهـضـةَ البـيـانِ بأرضٍ
أطلعتْ فى سـمـائهـا أعـلامـه
إنـهـا أمـةٌ تـغـارُ على الفنِّ
وترعى عـهـودَه و ذمـامـهْ
لم تَزَلْ مصرُ كعبةَ الشعرِ فى الشر
قِ ، وفى كـفِّهـا لواءُ الزعـامـة
إنَّ يومـاً يفـوتُهـا السَبْقُ فـيـه
لهـوَ يومُ المعـادِ يومُ القـيـامـة ! !

✍ ✍ ✍

١٠ - سورية وعيد الجلاء

تحية استقلال سورية

ورثاء صبرى ابو علم

هنَّأتُ باسمكِ تحتَ الشمسِ أحرارا
يَنْدَى هواكِ على هاماتهمْ غارا
دمَشْقُ ! يا بلدَ الأحرارِ ، أىُّ فتىً
لم يَمْتشقْ فيكِ سيفاً أو يَخُضْ نارا ؟ !
ذَوْدا عن الوطنِ المعبودِ ، من دمهِ
للمجدِ يبنيهِ آطاماً وأسوارا
زَكَتْ « أميَّةُ » فى أعراقهِ وجرتْ
دماً يُروِّى الثرى أو يغسلُ العارا
عيدُ الجلاءِ أسمِّيهِ وأعرفهُ
يومٌ تَباركَ أنداءً وأسحارا
جلا عن الشرقِ ليلُ البغى حينَ جلا
عروبةٌ فيكِ تَلْقَى الأهل والدارا
لولا مصابٌ دهى الوادى فشبَّ به
ناراً ، وهاجَ النسيمَ العذبَ إعصارا

ورَوَّعَ الأمــــةَ الـغـلـبـــاءَ فى رَجُلٍ

شـــدَّتْهُ قـــوســـاً ، وسلَّتْ منه بتَّارا

من النوابغِ أعـمـاراً إذا قـــصـرتْ

مـدَّ النبـوغُ لهم فى الخلدِ أعـمـارا

أحـرارُ مملكةٍ فى الرأى مـا أثمـوا

سَمَّاهـمـو الغـــاصبُ الظَّلام ثُوَّارا

ثاروا على القيدِ حتى انحلَّ ، واقتحموا

على الطواغيت حِصْنَ الظلمِ فـانهـارا

... لولاهُ كـانَ إليكِ البـرقُ راحلتى

أطوى به الجـــوَّ آفـــاقـــاً وأقطاراً

وجئتُ «فـيحـاءُ» أزجى الشعـرَ مُفتَقِداً

تحتَ الصفـائحِ مـقـدامـاً ومـغـواراً

والمفتدونَ ، شُراةُ الخلد ، قُلْ لهمو

مـا ينظمُ المدحُ ألحـانـاً وأشـعـاراً !

✍ ✍ ✍

١١ - بطل الريف : عبد الكريم الخطابى

لا السـيفُ قَرَّ ولا المحـاربُ عـاداَ
وسَبَيْحَ البشيرِ ! بأىِّ سلْمٍ نادَى ؟
الأرضُ من أجسـادِ من قُتِلوا بهـا
تَجْنِى العـذابَ وتُنْبِتُ الأحـقـادا
فاضَ السحابُ لها دَماً - مُذْ شيَّعتْ
شَمسَ النهـارِ - فـخـالطتْهُ سَوادا
رأتِ الحِدادَ به على أحـيـائهـا
أتُرَاهمو صَبَغوا السـماءَ حِدادا !
وَدَّ الطُّغـاة بكلِّ مَطْلَعِ كـوكبٍ
لو أطفـأوه وأسـقطوهُ رَمَادا
وتخـوَّفُوا وَمْضَ الشِّهـابِ إذا هَوَى
وَبُروقَ كلِّ غـمـامـةٍ تتـهـادَى
ولو انَّهـم وَصلُوا السـمـاءَ بعِلْمِهم
ضَرَبوا على آفـاقـهـا الأسْدَادَا
لـولا لـوامعُ مـن نُهـىً وَبصَائـرٍ
تَغْزُو كُهـوفـاً أو تَؤمُّ وهادا

لـم يَرْقَ عَقْلٌ أو تَرِقْ ســــــريرةٌ
وقـضى الوجـودُ ضـلالـةً وفـسـادا
راعَ الطُّغـاةَ شُعَاعُهُ فـتـسـاءَلوا
مَنْ نَصَّ هـذا الـكَوْكَبَ الـوَقَّادَا ؟
إِنْ تَجْهَلـوا فَسـلُوا بـه آبـاءَكُم
أيَّامَ شَعَّ عـــدالةً ورِغـــادا
هـل أبصــــــروا حُرِّيَّةً إلا بـه
أو شـيَّدوا لحـضـــارةٍ أوتادًا ؟
حَمَلَتْ سَنَاهُ لـهـم يَدٌ عـــربيَّةٌ
تبنى الشـعـــوبَ وتنسجُ الآبادا
هـى أمةٌ بالأمسِ شـــادتْ دَولـةً
لا تعــرفُ العِبْدانَ والأسـيـادَا
جُرْتُمْ عليـــهـــا ظالمينَ بعَدكُم
وعَدِيدِكم تتـــخـــايلونَ عتَادا
ومَنَعْتُمـوها من مـواهبِ أرْضِـهـا
مـــاءً بهِ تَجِـدُ الحـيـــاةَ وَزَادا
فى المغربِ الأقصى فتىً من نورِها
قَدَحَتْ به كفُّ الســـمـــاءِ زِنادا

سَلّتْهُ سـيـفـاً كى يحـرِّرَ قَوْمَهُ
وُيَزِيلَ عن أوطانهِ اسـتـعـبـادَا

مـــا بـالكم ضِقْتُم بـه وحَشَدَتُمُو
من دونِهِ الأسـيـافَ والأجنادَا ؟

اشْعَلْتُمـــوهـا ثـورةً دَمَوِيَّةً
لا تعـرفـونَ لنارِها إِخـمـادًا

حـتى إِذا أوْهَى القـتـالُ جِلادَكم
ومـضـى أشَدَّ بسـالةً وجِلادًا

جِـئْتُمْ إِليـهِ تُهـادِنونَ سُيوفَهُ
وسـيـوفُهُ لم تسكُنِ الأغـمـادَا

وكتبتمو عهداً – بحَدِّ سيوفكم –
مَزَّقْتُمُوهُ ولـم يـجِفَّ مِداداً

* * *

الأهلُ أهْلُكَ ، يا أمـيرُ ، كمـا تَرَى
والـــدَّارُ دارُكَ قُبَّةٌ و عِمَادًا

أنَّى نَزَلتَ بمصـرَ او جـاراتِهـا
جِـئْتَ الـعُروبةَ أمَّةً وبِلادًا

مَدَّت يدَيْها و احْتَوَتْكَ بصدرها
أمٌّ يَضُمُّ حنـانُهـا الأولادَا

ولو استطاعتْ رَدَّ ما استَوْدَعْتَها

رَدَّتْ عليكَ المَهْدَ و الميـــــلادَا

وَأتتْكَ بالذِّكَرِ الخـــــوالدِ طاقـــةً

كــأجَلِّ مـــا جـمـعَ المحبُّ وهادَى

مـاذا لَقِيتَ من الزُّمـانِ بصـخـرةٍ

قـاسَيْتَ فـيـهـا غُرْبةً و وجادًا ؟

وَبَلوْتَ من صلَفِ الطُّغـاةِ وعَسْفِهم

فـيـهـا الليـالى والسنينَ شِدَادًا ؟

جعلوا البحـارَ ، ومثلُهُنَّ جبالُها ،

سَدًّا عليك وأوســعـوك بعـادَا

دَعْهُم ! فـأنتَ سَخِرْت منَ أحلامـهمْ

وأطَرتَهُنَّ مـــع الـــريـــاحِ بـــدادًا

عشرينَ عاماً ، قد حَرَمْتَ عيونَهم

غُمْضَ الجفونِ ، فـمـا عَرَفْنَ رُقادًا

يَتَلَفَّتُون وراءَ كـلِّ جـــــــزيـرةٍ

ويســـــائلونَ المـوجَ و الأطوادَا

من أىِّ وادٍ .. مـــوجــةٌ هتــفَتْ به

ومضى ، فـحـمَّلَهـا السـلامَ ، وعـادَا

لو أنصـفـوا قَدَرُوا بطولةَ فـارسٍ

لبـلادهِ بدَمِ الحُشـاشـةِ جـادَا

نادَى بأحـرارِ الرجـالِ فـقـرَّبوا

مُهَجـاً تموتُ وراءَه استـشـهـادا

يـدعـو لحقٍّ أو لإنسـانيَّةٍ

تأبى السجـونَ وتَلْعَنُ الأصفـادَا

شيخَ الفوارسِ حَسْبُ عَيْنِك أن ترى

هـذى الفـتـوحَ وهذهِ الأمـجـادَا

« الرِّيفُ » هَبَّ منازلاً وقـبـائلاً

يدعـو فـتـاهُ البـاسلَ الذَّوَّادَا

حَنَّ الحُسامُ لقَبضَتيْكَ ، وحَمْحمتْ

خـيلٌ تُقَرَّبُ من يديكَ قِيـادا

وعلى الصَّحارَى من صَدَاكَ مَلاحِمٌ

تُشْجِى النُّسـورَ وتُطْرِبُ الآسـادَا

أوْحَتْ إلى العُرْبِ الحُداءَ ، وَألهمتْ

فُرسـانهمْ تحت الوغى الإنشـادا

عـبدَ الكريمِ انظُرْ حيالكَ هل ترى

إلا صـراعـاً قـائمـاً وجـهـادا

الشـــرقُ أجْمَعَـــهُ لواءٌ واحـــدٌ

نَظَمَ الصــفــوفَ وهيَّأ القُوَّادا

لم يتركِ السيفُ الجوابَ لسـائلٍ

أو يَنْسَ من مُتَرَقِّبٍ مــيـــعـــادا

سـالتْ حلوقُ الهاتفينَ دمـاً ، ومـا

هزُّوا لطاغـيـةِ الشـعـوبِ وِسـادَا

فـصُـغِ البـيــانَ بـهِ ، وأنْطِقْ حَدَّهُ

يَسْمَعْ إليكَ ، مُكَرَّراً ومُعَـــادَا

كَذَبَتْ مــودَّاتُ الشِّفــاه ولم أجِــدْ

رغمَ العـداوةِ كـالسـيـوفِ وِدادا

✍ ✍ ✍

١٢ - الأمسية الحزينة

عند برزخ بين بحيرة المنزلة

وشاطئ البحر المتوسط

جـددتِ ذاهبَ أحـلامى وليـلاتى
فَهَلْ لديكِ حديثٌ عن صبـاباتى ؟
يا كـعـبـةً لخـيـالاتى ، وصـومـعـةً
رتلتُ فى ظلِّهـا للحـسنِ آياتى
للحُبِّ أولُ أشـعـارٍ هتـفتُ بهـا ،
وللجـمـالِ بهـا أولى رسـالاتى
عليكَ وادىَ أحـلامى وقـفتُ أرى
طيفَ الحوادثِ تمضى بعد مأساةِ
آوى إلى جَنَبَاتِ الصـخـرِ منفـردا
أبكى لأمـسـيـةٍ مـرَّت وليـلاتِ
قـد غَيَّرتنا الليـالى بَعْدَهَا سِيَرا
وخلَّفـتنا العـوادى بعضَ أشـتـاتِ
تلـفَّتَ القـلبُ فى ليـلاءَ باردةٍ
يبكى ليـاليَكَ الغُرَّ المضـيـئـاتِ

وذكــريـاتٍ من المـاضـى يُطالـعُهــا
بينَ الحـقـولِ وشُطآنِ البـحـيـرات

* * *

يا طولَ مــا نَغَّمَتْ للصَّخــرِ أناتى
وشـــدَّ مـــا رجَّعتْ للمـــوجِ آهاتى
يا قلبُ ، وادى الصِّبا حالتْ مسارِحُهُ
وأقـفـرتْ من صـبـاياهُ الجـمـيـلاتِ
فـلا الجـداولُ تحـدوهـا مـسـلسـلةٌ
ولا الخـمـائلُ تهـفـو بالنضـيـراتِ
صَوَّحنَ من مـشـرقِ الوادى لمغـربِهِ
فـــمـــا بهنَّ مُطيفٌ من خـــيـــالاتِ
مـا فى حيـاتِكَ من سلوى تلوذُ بـهـا
لكنهُ الحبُّ ذاكَ القـــاهرُ الـعـــاتى
قـد فـاجـأتْكَ غـواشـيـه التى سـكنتْ
إنَّ الليـــالىَ مـــلأى بالفُجـــاءاتِ

* * *

يا لَلْبُحـيـرةِ : من يرتـادُ شـاطئـهَا
ومن يُسِرُّ إلى الوادى مـنـاجــاتى ؟

ومن يعـيـدُ لنا أطيافَ ليلتـهـا
وما غَنِمْنَا عليـهـا من أويقـاتِ
وخلوةٍ في حَفَافـيـهـا وقـد عَبَثَتْ
يَدُ الصَّبا بحـواشـيـهـا الموشَّاةِ
يضـمُّنا باسقٌ ، في الشطِّ ، منفردٌ
ضَمَّ الشَّتـيـتَيْنِ في عليـاءِ جناتِ
وللقلوبِ أحـاديثٌ يجـاوبُهَا
تناوحُ الطيـرِ في ظلِّ الخـمـيلاتِ

* * *

يا ليلةٌ قـد ذهلنا عن كـواكـبـهـا
في زورقٍ بين ضـفـافٍ ولجَّاتِ
يسرى بنا مَوهِناً ، والريحُ تدفعهُ ،
كـالنجمِ يسـبحُ في علويِّ هالاتِ
وفي الشـواطيءِ للمـجـدافِ أغنيـةٌ
يَصبُّهـا الموجُ في سـحريِّ موجاتِ
مـا كـانَ أهنأها دنيـا ، وأهنأنا
في ليلِها الصَّحْو، أوفي فجرها الشاتي

مَرَّت خيالاتُ ماضيها ، وما تَرَكَتْ
سوى وجومِ لياليها الحزيناتِ
ومن تَلَهّفِ أحنائى وثارتِهَا
يا لَلْجَوَانحِ من وَجْدى وثاراتى
ياصرخةَ القلبِ ، هل أسمعتِ منك صَدىً
مَنْ ذا يردُّ الصَّدى فى جوفِ موماةِ ؟
جوبى مفاوزَ أيامى فقد صَفِرَتْ
من نبعِ ماءٍ ، ومن أظلالِ واحاتِ
قضى ، على ظمأ ، قلبى بها وفمى
وضلّتِ العينُ فيها إِثرَ غاياتى
حتى العواصفُ صمَّتْ عن نداءاتى
فما تردُّ على الأيامِ صيحاتى

* * *

يا من قتلتَ شبابى فى يفاعَتِهِ
ورحتَ تسخرُ مِنْ دمعى وأناتى
حرمتَ أيامىَ الأولى مفارحَها
فما نعمتُ بأوطارى ولذَّاتى
فَدَعْ فؤادىَ محزوناً يرفُّ على
ماضى لياليَّ ، وانعمْ ، أنتَ ، بالآتى

دَعْني على صخرةِ الماضى لعلَّ بها
مِنَ الصبابةِ والتحنانِ منجاتى !

✍ ✍ ✍

١٣ - إلى الطبيعة المصرية

لِمَ أنتِ ، أيّتُها الطبيعةُ ، كالحزينةِ في بلادى ؟
لولا أغـــاريدُ ترسلُ بينَ شـــاديةٍ وشـــادى
وخـيـالُ ثَوْرٍ حـولَ سـاقـيـهِ يُراوحُ أو يُغـادى
وقطيعُ ضأنٍ في المروجِ الخضرِ يُضربُ بالهوادى
لحـسـبتُ أنكِ جَنَّةٌ مـهـجـورةٌ من عـهـدِ عـادِ
هجـروكِ ، لا كنتِ العـقـيمَ ولَستِ مُنْجِبَةَ القَتـادِ
عـجـبـاً ومـاؤكِ دافقٌ ونجـومُ أرضكِ في اتِّقـادِ
لو كنتِ في الغـربِ الصنّاعِ لكنتِ قِبلةَ كلِّ هادى
وافتنَّ فـيكِ الفنُّ بالروحِ المُحـرِّكِ للجـمـادِ
وتفـجّرَ المَرحُ الحـبـيسُ بكلِّ ناحـيـةٍ ووادى
ولقلتُ أبتــدرُ الشُّداةَ غـداةَ فـجـرٍ أو تنادى
هذى الروائعُ فيكِ لم تُخْلَق لغـيركِ ، يا بلادى !

✍ ✍ ✍

١٤ - على النيل

من ابن الشمال إلى ابن الجنوب

أخى ! إنْ وردتَ النِّيلَ قبلَ ورودى
فحىِّ ذِمامى عِنْدَهُ و عُهُودى
وَقَبِّلْ ثرىً فيه امتزجنا أُبُوَّةً
وَنُسْلِمُهُ لابنٍ لنا وحفيدِ
أخى ! إنْ أذانَ الفجرِ لَبَّيتَ صوتَهُ
سَمِعْتَ لتكبيرى ووقْعِ سجودى
وما صُغْتَ قولاً أو هتفتَ بآيةٍ
خَلا مَنطقى من لَفْظِهَا وقصيدى
أخى ! إنْ حواكَ الصبحُ ريَّانَ مشرقاً
أفَقْتُ على يومٍ أغرٍّ سعيدِ
أخى ! إنْ طواكَ الليلُ سهمانَ سادرا
نَبا فيه جنبى واستحالَ رقودى
أخى ! إنْ شربتَ الماءَ صفواً فقد زكتْ
خمائلُ جنَّاتى وطابَ حصيدى
أخى ! إنْ جفاكَ النهرُ أو جفَّ نبعُهُ
مشى الموتُ فى زهرى وقصَّفَ عودى

فكيفَ تُلاحينى وألحاكَ ؟ إننى
شهيدكَ فى هذا .. وأنتَ شهيدى !
حياتُكَ فى الوادى حياتى ، فإنما
وُجودُكَ فى هذى الحياةِ وجودى

* * *

أخى ! إنْ نزلْتَ الشاطِئَيْن فَسَلْهما
مَتى فَصَّلا ما بيننا بحدودِ ؟
رَمانى نَذيرُ السُّوءِ فيكَ بنَبْأةٍ
فَجَلَّلَ بالأحزانِ ليلةَ عيدى
وغامتْ سمائى بعدَ صَفْوٍ وأُخْرِسَتْ
مزَاهرُ أحلامى وماتَ نشيدى
غداةَ تَمنَّى المستبدُّ فِراقنا
على أرضِ آباءٍ لنا وجدودِ
وزفَّ لنا زَيْفَ الأمانى عُلالةً
لعلَّ بنا حُبَّ السيادةِ يُودى
أُخوَّتُنا فوقَ الذى مانَ وادَّعى
وما بيننا من سيِّدٍ ومسودِ
إذا قالَ «الاستقلالُ» فاحْذَرْهُ ناصباً
فِخاخَ «احتلالٍ» كالدهورِ أبيدِ

وكم قَبْلُ منّانى ، على وَفْرِ ما جَنَى
بِحَرْبَيْنِ ، من زرعى وضَرْعِ وليدى
فلمـــا أتاهُ النصـــرُ هاجَتْهُ شِرّةٌ
فـــــهمَّ بنكرانى ورامَ جُحُودى
ألا سَلْهُ ، ماذا بَعْدَ سبعينَ حجّةً
أأنجــزَ من وَعْدٍ ؟ أفكَّ قــيــودى ؟

✍ ✍ ✍

١٥ - القبَّرة

عن الشاعر الانجليزى شلى

يا أيهـا الرُّوحُ يهـفـو حَوْلَهُ الفَرَحُ
تحـيَّةٌ ، أيُّهـــذا الصـــادحُ المَرِحُ
من أمَّةِ الطَّيرِ هذا اللحنُ ما سمِعتُ
بمـثلـه الأرضُ ، لا روضٌ ولا صَدَحُ
أنت الذى من سـمـاءِ الرُّوحِ منهلُهُ
خـــمــرٌ إلهــيــةٌ لم تَحْوِهَا قَدَحُ
يفـيـضُ قلبُك ألحـانـاً يُسلسِلُهـا
فنٌ طليقٌ من الوجـدانِ منسـرِحُ !

* * *

وعـاليـاً ، عـاليـاً ، لا زلتَ منطلقـاً
عن الثـرى ، تصِلُ الآفـاقَ آمـادا
مثلَ السحـابةِ ، من نارٍ ، مُسَعَّرَةً ،
والبـرقِ مـؤتلقـاً ، والنَّجمِ وقَّادا
يهفو جَنَاحاكَ فى أعماقِ زُرْقَتِها
وأنتَ تَضْرِبُ فـى الآفـــاقِ مُرتاداً

تشـدو فَتُمْعِنُ فى أجـوازِهَا صُعُدا

فـإنْ عَلَوْتَ بهـا أَمْعَنْتَ إنشـادا

* * *

ومـائجٍ ذَهبىٍّ النُّورِ قـد غـرقتْ

فى ذَوْبِهِ الشمسُ عَبْرَ العالمِ الثانى

تُوَهِّجُ السُّحبَ البـيـضـاءَ حُمـرتُه

فَتَسْتَحـيلُ عليـهـا ذاتَ ألوانِ

أشـعـةٌ ذاتُ أمـواجٍ غَدَوْتَ بهـا

تطفـو وترسبُ فى لُجيِّها القـانى

كـأنما أنت – جـذلاناً تراوحنا –

روحٌ من الطَرب العلوىِّ نورانى

* * *

تذوبُ حـولكَ إمَّا طِرْتَ فى أفُقٍ

غلالةُ الأرجوانِ الشاحبِ الساجى

كنجمـةٍ فى سمـاءِ اللَّيلِ خـافقـةٍ

تذوبُ فى فَلَقٍ للصـبحِ وهَّاجِ

يا من تُطرِّبنى الحـانُ غِبْطَتِهِ

ومـا رَأيتُ لَهُ طيـفـاً بمعـراجِ

ألاَّ أراكَ فــإنى ســامعٌ نغــمــاً

يهـــفـــو إلىَّ بإطرابٍ وإبهـــاجِ

*   *   *

وصاعداً فى مضاءِ السهمِ أرسلَهُ

قـوسٌ من الكَوْكبِ الفـضىِّ منزعـهُ

ينأى فـيخـبـو رويداً وهْجُ شُعْلَتـهِ

حتى يُلاشَى كـأنَّ الفـجـرَ يتـبـعهُ

ونرسلُ العـــينَ نرعـــاهُ هنا وهنا

ومـــا يبـــينُ لنا من أيْنَ مطلعـــهُ

حـتى إذا عـزَّنا المرأى وأجـهـدنا

دلَّ الشعورُ على أنْ ذاكَ موضعهُ ! !

*   *   *

هذى السـمـاءُ بموسـيقـاكَ مـائجـةٌ

والأرضُ يغمُرُها من صوتكَ الطَرَبُ

وصفحةُ الليلِ أصفى ما يكونُ سوى

غـمــامـةٍ خلَّفَتـهـا وَحْدَهَا السُّحُبُ

وقـــد بدا القَمَرُ الوضَّاحُ يُمطرها

إرسـالَ ضـوءٍ على الآفـاقِ يَنْسَكِبُ

يرمى السـمـواتِ سـيلٌ من أشـعَّتِها
تكادُ تسـبحُ فى طوفـانِه الشُّهُبُ

* * *

من أنتَ ، يا من يجوبُ اللَّيلَ منفرداً
ولم تقعْ لى عليـهِ بَعْدُ عـينانِ ؟
أىُّ الخليـقـةِ قل لى أنتَ تشـبـهُهُ
وأيهـا منكَ فى أوصـافِهِ دانى ؟
وهذه السُّحْبُ أصـبـاغـاً مُشَكَّلَةً
فى رائـعٍ من فَريـدِ اللَّونِ فـتَّانِ
لا ينزلُ الغـيثُ منهـا مـثلمـا نزلتْ
شتَّى أغـانيكَ فى سـحـرىِّ ألحـانِ !

* * *

كشاعـرٍ فى سمـاءِ الفكرِ مُختبئٍ
دلَّ الوجـودَ عليـه لحنُه العـالى
ألحـانُ أغنيـةٍ أمـسى يُرتِّلهـا
كمـرسلٍ من نشيـدِ الخُلْدِ سـيَّالِ
أسلْنَ بالعـالمِ السـالى خـوالجَهُ
حتى استحالَ شجوناً قلبُه الخالى

بعَثْنَ من ألمٍ فــــيـــــهِ ومن أمَلٍ

مــا لم يكنْ منهُ فى يومٍ على بالِ

* * *

كــأنَّ حــوريةً فى ظلِّ شــاهقــةٍ

من البروجِ تقضِّى العيشَ فى خُلَسِ

لم يُغمضِ النومُ عينيها ولا خمدَتْ

نيـرانُ قلبٍ لهــا فى فَحْمَةِ الغلَسِ

باتتْ تلطِّف آلامـــاً تســـاوِرُها

فى عـزلةٍ بنشيـدٍ سـاحـرِ الجـرسِ

تطوفُ ألحانُ موسيقاهُ مـخدعـها

كـأنهُ الحبُّ فى إيقـاعـهِ السلِسِ

* * *

كـأنَّ بين الرُّبا التـفَّتْ خـمـائلُهـا

فـراشـةٌ من سـبـيكِ التِّبـرِ جَلواءُ

يا حـسنَ أجنحـةٍ منهـا مـذهبـةٍ

قـد رقَّشـتـهـا مِنَ الأسـحـارِ أنداءُ

تُرِى السماءَ صفاءً فهى إنْ خطرتْ

فللســمـــاءِ بهــذا اللَّونِ إغــراءُ

تجلو الأزاهرَ والأعشابَ طلعتُها

إذا بدتْ ولها فيهنَّ إخفاءُ

* * *

كزهرةِ الحقلِ فى غَيْناءِ سرْحتِها

لم يملأِ النورُ منْ أجفانِها حَدَقا

حتى إذا لَفَحَتْها الريحُ هاجرةً

زكتْ واربتْ على أملودِها ورْقا

وأرَّجَ الحقلَ من أنفاسِها عبقٌ

يشوقُ كلُّ جناحٍ نحوها خَفَقَا

تهفو إليها من الأنسامِ أجنحةٌ

منْ كلِّ مُنطلقٍ من عطرِهَا سَرَقا

* * *

ووقعُ لحنكَ فى الأسحارِ أرخمُ من

وقعِ النَّدَى فوقَ أعشابِ البساتينِ

قد نقَّط الزَّهَرَ المنضورَ سلسلهُ

وجادَ بالطلِّ أفوافَ الرياحينِ

يا منْ على صوتهِ فى الأفْقِ منسجماً

تصحو الأزاهرُ فى أفنانِها الغينِ

كلُّ البدائعِ مهما افتنَّ مبدعُها
لم تَعْدُ لحنَكَ فى صَوْغٍ وتلحينِ

* * *

قل لى : أمن مَلَكُوتِ الرُّوحِ منطلقٌ
أم طائرٌ أنتَ فى الآفاقِ هيمانُ ؟
أىُّ الخواطرِ من حُسْنٍ ومن بَهَجٍ
يُشيعها منكَ فى الأرواحِ وجدانُ ؟
لم تشرئبُّ قلوبٌ من أضالعها
لغيرِ صَوْتِكَ أو تنصبُّ آذانُ
حديثُ حبٍّ وخمرٍ باتَ يسكبُهُ
من جانبِ اللّهِ أنغامٌ وألحانُ !

* * *

من أينَ تلك الأغانى أنتَ تُرسلُهَا ؟
من أىِّ مطّردِ الينبوعِ مُنْسجِمِ ؟
من أىِّ ثائرةِ الأمواجِ زاخرةٍ ؟
أىِّ السهولةِ والأغوارِ والقِمَمِ ؟
وأىِّ حبٍّ أليفٍ منكَ أو وطنٍ ؟
وأىِّ جهلٍ لما نلقاهُ من ألمِ ؟

* * *

وفى منامكَ والآفــــاقُ حــــالمةٌ
وفى انتـبـاهكَ والظلمـاءُ إصـغـاءُ
لابدَّ من نبــأُ للمــوتِ تعــرفــهُ
وفى فــؤادكَ عنهُ اليـومَ أشـيــاءُ
لأنْتَ أعــمقُ فكراً فى حــقــائقــهِ
مما نراهُ ونحنُ اليــومَ أحــيــاءُ
أو لا ! فكيفَ انســجامُ اللَّحنِ مطَّرداً
يُجــريهِ من رائقِ البِلَّورِ لألاءُ ! ؟

* * *

إنـا نـفـكِّرُ فـى مــــــاضٍ بلا أثرٍ
ومُقــبلٍ من حــيــاةٍ كلهــا غـيبُ
ومــســـتــحلِ نرجِّى برقَ ديمَتِهِ
وكلُّ مــا نرتجــيــهِ منهُ مــخـتلبُ
وكم لنا ضــحكاتٌ غـيرُ صــادقـةٍ
ما لم يشبْ صفوَها التبريحُ والوصَبُ
وإنَّ أشـهى الأغـانى فى مسامِعِنَا
ما سالَ وهو حزينُ اللحنِ ، مكتئبُ !

* * *

هَبْنَا على رَغْمِ هذا ليسَ يَجْمعُنَا
بالحقدِ أو كبرياءِ النَفْسِ أوهاقُ
فلا القلوبُ لدى البأساءِ جازعةٌ
ولا بهنَّ إذا رُوِّعنَ إشفاقُ
وإننا قد دَرَجْنا فى خَليقتِنا
بلا دموعٍ تذرِّيهنَّ آماقُ
فكيفَ كنا إذاً نلقاكَ فى فرحٍ !
أو يغمر الروحَ لحنٌ منه رَقْراقُ ! ؟

* * *

يا أعذبَ الطيرِ موسيقى وأروعَهَا
من كلِّ رائقِ أنغامٍ وألحانِ
ويا أعزَّ لنا من كلِّ ما جمعتْ
نفائسُ الكُتْبِ من دُرىً تبيانِ
يا ما أحقَّ اقتدارا منكَ قدرتهُ
بشاعرٍ لَبِقِ التصويرِ فنَّانِ
أنتَ المبرأُ فى حُبٍّ وعاطفةٍ
يا من تعاليتَ عن أرضٍ وإنسانِ

* * *

أمـــــا تُعلِّمنى مما يفـــيضُ بهِ

غناؤكَ الـعَذْبُ تـطراباً وتحـنانـا !

ذاكَ الحنونُ الذى يُهـدى توافـقـهُ

إلىَّ من صَدَحَاتِ الخلدِ ألحـانا !

ألستَ تُلهـمنى وحـيـاً يفـيضُ به

فـمى ، فَأمـلأُ قلبَ الكونِ إيمـانا !

أشـدو فـيُلقـى إلىَّ الكونُ مِسـمـعهُ

يُصـغى إلىَّ كما أصـغى لَكَ الآنا !

✍ ✍ ✍

١٦ - الملاّح التّائه

أيهـا الملاّحُ قمْ واطوِ الشِّراعـا
لِمَ نطوى لُجّةَ اللّيلِ سِراعـا
جَدِّفِ الآنَ بنـا فـى هِينـةٍ
وجهةَ الشاطىءِ سيراً واتّباعا
فَغداً ، يا صاحبى ، تأخُذُنا
موجةُ الأيّام قذفاً واندفاعا
عَبَثاً تقفو خُطى الماضى الذى
خِلْتَ أنَّ البحرَ واراهُ ابتلاعا
لم يكنْ غيرَ أويقاتِ هوىً
وقفتْ عن دوْرَةِ الدهرِ انقطاعا
فتَمَهّلْ ، تسعدِ الرُّوحُ بما
وهِمَتْ ، أو تطربِ النفسُ سماعا
وَدَعِ الليلةَ تمضى ، إنـهـا
لم تكنْ أولَ ما ولّى وَضَاعا
سوفَ يبدو الفجرُ فى آثارها
ثمَّ يمضى ، وَدَوَاليكَ تِباعا

هذهِ الأرضُ انتـــشتْ مما بهـــا
فَغَفَتْ تحلُم بالخلدِ خــــداعـــــا
قـــد طَوَاها الليلُ حـــتى أوشكتْ
من عـمـيقِ الصمْتِ فـيه أنْ تُراعـا
إنَّهُ الـصـــــــمتُ الذى فى طيِّه
أسـفـرَ المجـهـولُ ، والمسـتـورُ ذاعـا
سَمِعَتْ فـــيـــه هُتـــافَ المنتـــهَى
من وراءِ الـغـيـبِ يُقـريهـا الوَدَاعـا
أيـهـــا الأحــيـــاءُ ، غنُّوا واطرَبوا
وانهـبـوا من غَفَلاتِ الدَّهرِ سـاعـا

* * *

آهِ ، مـــــا أروعَهـــــا من ليلةٍ
فاضَ فى أرجائها السحرُ ، وشاعا
نَفَخَ الـحـبُ بـهـــــــا مـن روحهِ
ورَمَى عن سرِّهـا الـخـافى القناعـا
وَجَلا مــــن صُوَرِ الحُسْنِ لــنـــا
عـــبـــقـــرياً لَبِقَ الفنِّ صَنَاعـــا
نفـحـــاتٌ رَقَصَ البـحـــرُ لهـــا
وهفَا النجمُ خُفـوقـاً والتـمـاعـا

وسرى من جانبِ الأرضِ صدىً

حَرَّكَ العُشْبَ حناناً واليَرَاعا

بَعَثَ الأحلامَ من هجعتِها

كسرايا الطَّيْرِ نُفِّرْنَ ارتياعا

قُمْنَ بالشاطئِ من وادى الهوى

بنشيدِ الحبِّ يهتفنَ ابتداعا

أيها الهاجرُ عزَّ المُلتقى

وأذبتَ القلب صدا وامتناعا

أدركِ التائهَ فى بحرِ الهوى

قَبْلَ أنْ يقتلَهُ الموجُ صراعا

وارعَ فى الدنيا طريداً شارداً

عنهُ ضاقتْ رقعةُ الأرضِ اتساعا

ضلَّ فى الليل سُراهُ ، ومَضَى

لا يَرى فى أفُقٍ منه شُعَاعا

يجتوى اللافِحَ من حَرْقتِهِ

وعذابٍ يُشعلُ الرُّوحَ التياعا

والأسى الخالدَ من ماضٍ عَفَا

والهوى الثائرَ فى قلبٍ تداعى

فـــاجــعلِ البـــحـــرَ أمـــاناً حــولَهُ
وامـلأ السـهلَ سـلاماً واليَفَاعا[1]
وامـــــــسحِ الآنَ علـى آلامـــــهِ
بيدِ الرفقِ التى تمحو الدَّمـاعا[2]
وَقُدِ الـــفُلـــكَ إلـــى بَرِّ الـــرِّضـــى
وانشُرِ الحبَّ على الفُلكِ شِراعـــا

✍ ✍ ✍

---

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٢) الدَّمَّاع : كثير الدمع .

١٧ - راكبة الدّراجة

تمَهّلى فــــراشــــةَ الصّبـــاحِ

أسْرَفْتِ فــى الــغُدوِّ والــرّواحِ

مــاذا ارتيــادُ الطُّرُقِ الفِســاحِ

والوثبُ فـــوقَ العُشْبِ والصُفّاحِ

بـين الـرّوابـى الخُضْرِ والـبطـاحِ

بـالشّعَرِ المهــدّلِ الســبّاحِ

كـالموجِ تحتَ العـاصفِ المجـتـاحِ

والنهــدِ وهـو مُطْلَقُ الســراحِ

يخــفقُ بين الصــدرِ والوشــاحِ

والســاقُ خَلْفَ الســاقِ فى كـفـاحِ

فى حَلْقَةٍ طاغــيــةِ الجــمــاحِ

تدورُ مـــثلُ البـــارقِ اللمّاحِ

تــودُّ لــو طــارتْ مــع الــريــاحِ

وحلّقتْ فى كـــبـــدِ الصُراحِ

بلطفِ هذا الجــســدِ المــراحِ

وخِفّةٍ فــى روحـكِ الصـــــداحِ

تكادُ تُغْنِى الطيـــرَ عن جَنَاحِ !

يا لـهَواءٍ عـــابثٍ مـــفـــراحِ

سكرانَ ، لا من خـمـرةِ الأقـداحِ

بَلْ من صبِـاكِ ، والصِّبا كـالرَّاحِ

يرفعُ طرفَ الثـــوبَ فى مـــزاحِ

لا يَسْتَحـــى مـــن لائـــمٍ ولاحـــى

✍ ✍ ✍

١٨ – على حاجز السفينة

- حَنَتْ على حاجزِ السفينة

تــرنــو إلــى الــرَّغْوِ والــزَّبــدْ

- كأنها الفتنةُ السجينة

تمضى بهـــــا لُجَّةُ الأبدْ

- نَبَتْ بهــا ضَجَّةُ المكانِ

يزَينهـــا الصَّمْتُ والجــلالُ

- والبحرُ من حولها أغانى

والسُّحْبُ والريحُ والجـــبــالُ

- ساحرةٌ وحدها تُطِلُّ

بِمــلْتَقَى الــنــورِ والــظــلامِ

- لا تسأمُ الصَّمْتَ أو تَمَلُّ

تَهـــامُس الشُّهْبِ والغــمــامِ

- تُصغِى إلى الموجِ والرياحِ

فى مَعْزِلٍ شـــــاقَ كلَّ عَينْ

- كأنها نجمةُ الصباحِ

مُطِلَّةٌ من ســـحـــابتـــينْ

- هفهافةُ الثوبِ فى بياضٍ
يكادُ عن روحهـا يشفُّ
- لأىِّ ذكـرى وأىِّ مـاضٍ
يَسْرى بهـا خـاطرٌ ويَهـفـو ؟
- ومـا وراءَ العُبـاب تَبْغِى
وأىُّ سـرٍّ لهـا تبـدَّى
- وأىُّ لحن إليـه تُصـغى
بروحهـا الحـالمِ استـبدَّا ؟
- عجبتُ للبحـرِ ما عَرَاهُ
يودُّ لو مسَّ ناظريهـا
- يتـاخمُ النَّجمَ فى عـلاهُ
وينثنى جـاثيـاً لديهـا
- وهائمٍ فى الفضـاءِ صَبٍّ
مُجنَّحٍ لا يَبِيـنُ طيـفـا
- كم ودَّ لو - من ضَنَى وحُبٍّ
هَوَى على صدرها وأغـفى
- كم بـثَّ مـن أنَّةٍ و ألْقَى
بهمْسةٍ ضـائعٌ صداها

- ياوَيحـهُ لا يَحـيـرُ نُطقـا

فكيفَ تُلْقِى لـه انتـــبـــاها ؟

- أنفـــاسُهُ عن جَواهُ تُغْنِى

عليلةٌ خـــفْقُهـــا اضـطرابُ

- كـــآهةٍ فـى فَمِ المُغَنّى

جـــريحـــةٍ لَحنُهـــا العـــذابُ

- يدنو ، ويرتدُّ فى حــيــاءٍ

يُجـــاذبُ الـثـــوبَ والـشَّعَرْ

- وكلمـــا كلَّ من عـــيــاءٍ

أثارهُ الوجـــدُ فـــاســـتـــعَر

- يضـمُّهـا راعشـاً ، ويمـضـى

مُبـــاعـــداً ، وهـو مـــا ابتـــعـــدْ

- كـأنَّهُ بالحنينِ يقــضـى

لُبـــانـةَ الـرُّوحِ و الجَســـــدْ

- والقـمـرُ الطالـعُ الصـغـيـرُ

أزاحَ عن وجـــهـــهِ السَّحـــابا

- وقـد جرى ضـوءه الـغـريرُ

يســتــشــرفُ الأفقَ و العُبــابا

- ألمرِحُ العـــابثُ الطروبُ
  لما دعــا باســمــهِ الشــروقُ
- نادتْ به مــوجــةٌ لعــوبُ
  إلىَّ .. يا أيّهـــــا المشـــــوقُ
- طـالَ عـلـى المنْتَأى طُروقـى
  وطالَ مـــســـراكَ فـى السَّمـــاءِ
- فَنَمْ على صـدرىَ الخـفـوقِ
  واحْلُمْ بمــا شِئْتَ مــن هــنــاءِ
- وأنْسِنى وحـشــةَ الليــالى
  بقُبْلةٍ منكَ ، يا حـــبـــيـــبى
- لكنَّهُ مـــرَّ لا يبـــالى
  ولجَّ فى صــــمـــتــهِ العــجــيبِ
- مـــذ أبْصَرَتْهُ انثنى ومـــرًّا
  قـــالتْ ، ومن دمـــعـــهــا مَسِيلُ :
- لأنتَ مــثلُ الرجـالِ طُرًّا
  يا أيُّهـــا الخـــائنُ الجـــمـــيلُ
- وهبـتُكَ الغضَّ من شـبـابى
  سكرانَ من خـمـرِ أمـسـيـاتى

● فـأينَ تمضى على العُبـابِ
من صَوْتِ حُبّى وذكـــــريـاتـى ؟
● ومن هـىَ الغـــادةُ التى
تنسلُّ من مـــخــدعى إليـــهـــا
● أعندها مـــثلُ فـــتنتى
أم أننى أفْتَرِى عليـــــهــــا ؟
● إذهبْ إليـهـا ودعْ نمـامى
فـــديتُكَ ، اسْلَمْ على التـنائـى
● إذْبَحْ على صـدرها غـرامى
وامــلأ لهـا الكأسَ من شــقــائى
● والْهُ مع الغـيـدِ والعـذارى
وغــنِّ بـــالـــكـــأسِ والـــوتـــرْ
● وانـقــعْ مــن الـغُلَّةِ الأوارا
واقـطف مـن الـلَذةِ الـثمـــــــرْ
● أبوكَ ، والطبعُ لا يحـــولُ ،
وَرِثْتَهُ خِلْقــــــةً و خَلْقـــــا
● يا أيهــــا القَلْبُ الملولُ
من قـــبـــضـــتى لن تنالَ عِتْقـــا

● مُطاردٌ أنتَ باشتـيـاقـى

مــا جُبْتَ أرضــاً وجُزْتَ بحــرا

● مُقَيَّدٌ أنـتَ فــى وثــاقــى

وإنْ رأتْكَ الـعـــيـــونُ حُرّاً

● لأنتَ مــهــمــا كَبُرتَ طِفْلِى

يا ابنَ الـهـــوى البكْرِ والألَمْ

● خُطاكَ مـسـبـوقـةٌ بظلِّى

وإنْ تــعــلَّقْتَ بــالــقِمَمْ

● سـأحفظُ العَهدَ مِنْكَ دَوْما

وأقطَعُ الـعــمــرَ فى انتظارِكْ

● وسـوف تأوِى إلىَّ يومــا

تبكى ، وأبْكى إلى جـــوارِكْ

● ضـراعـةٌ من عـذابِ أنْثَى

مَشَتْ على المائجِ الـغـضـوبِ !

● صغا لـهـا الليلُ واستـحثَّا

ســـواكنَ الريحِ لـلـهُبـــوبِ

● وحـدّقتْ فـى الدُّجَى نجـومٌ

غَيْرَى ، تـغــامــزنَ بالخــبــرْ

- وغمغمتْ نجمةٌ رؤومُ

أما يرى ضوءَهُ القمرْ ! ؟

- أما يرى ذلكَ الصبيًّا

يُؤلِّبُ البحرَ والظلاما ؟

- فيا لَهُ فاتنا خَلِيًّا

يُزوِّرُ العشقَ والغراما !

- كم ليلةٍ بعدَ ألفِ ليلهْ

لم تَرْوِها عنه شهرزادُ

- وكم عناقٍ لهُ وقُبْلهْ

فى كِذْبةٍ لفظُها مُعادُ

- فاستوعبَ الضوءُ ملءَ حسِّهْ

مفاتنَ الناسِ والطبيعة

- مُردِّداً فى قرارِ نفسِهْ

ما أبشعَ الغيرةَ الوضيعة ؟

- وارتعشَ الضوءُ ثم أضْفَى

من حولِهِ الصفوَ والسَكينَة

- وابتسمتْ نفسُهُ فألْفَى

خطاهُ فى جانبِ السفينَة

- فراعَهُ ذلكَ الجمالُ

جمالُها الصّامتُ الحزينُ

- فشاقَهُ الشِّعرُ و الخيالُ

وهزّهُ الوجدُ والحنينُ

- فقالَ : يا روعةَ المساءِ

وفِتنةَ اللُّبِّ و البصر

- قد آذنَ الليلُ بانقضاءِ

وأنتِ موصولةُ السهر

- أيَّتُها المَلَكَةُ الكسيرةْ

أيتُها الربَّةُ الخجولَة

- أيتُها الطفلةُ الكبيرة

لن تَبْرَحى عالَم الطفولَةْ !

- أعلمُ ما تكتمينَ عنِّى

وإنْ تلثُّمْتِ بالخفاءِ

- خمسُ ليالٍ وأنتِ منى

متبوعةُ الظلِّ باشتهائى

- قد كنتُ أزْهَى بما عرفتُ

من فِتَنِ الحسنِ والدلالِ

- لكنَّنى الليلةَ اكتشفتُ

أروعَ ما شِمْتُ من جمالِ

- عشقتُ فيكِ الهوى و ذُلَّهْ

فى زَهْوَةِ الحسنِ والشبابِ

- وذلكَ الصَّمتَ ، ما أجلَّهْ

فى عالمِ اللَّغْوِ والكِذابِ

- هاربةٌ أنتِ ، يا فتاتى

من ثورةِ الشكِّ والرِّيَبْ

- هَرَبْتِ من ضجَّةِ الحَياةِ

فكيفَ من نفسكِ الهَرَبْ ؟ !

- بها ابدئى أولاً فسلِّى

وردكِ من شوْكهِ الأثيمِ

- لا البُعْدُ يجدى و لا التسلِّى

كطعْنكِ الغدْرِ فى الصميمِ

- منيةٌ لم يَطُلْ مَداها

تروعُ بالصَّمتِ و الشحوبِ

- لم يبلغِ الليلُ مُنتهاها

إلاَّ على روْعَةِ المغيبِ

● والتـفتَ الضـوءُ للوداعِ

يهـمسُ فى رِقَّةٍ و وجـدِ

● يا ربَّةَ الحسنِ لا تُراعِى

فَلْتَرْعَكِ الكـائنـاتُ بعـدى

● يا ليلُ ، يا مـوجُ ، يا رياحُ

أيتُهـا السُّحْبُ و الظلالُ

● أيتـهـا الغُورُ و البِطاحُ

أيتـهـا الشـهبُ و الجـبـالُ

● فى الجوِّ ، فى الماءِ ، فى الثرى

صـونى لهـا العـهـدَ والودادا

● رُدِّى على عـينهـا الكرى

وابْعِدِى الفِكْرَ و السـهـادا

● وأنقـذيهـا مِنَ الجـوى

يا عـاشـقـاتى على الزَّمـانِ !

● بكلِّ مـا فـيكِ من قُوَى

وكلِّ مـا فىَّ من حنان ! !

✍ ✍ ✍

١٩ - إنتظار

طالَ انتظارُكَ فى الظلامِ ولم تَزَلْ
عــــينايَ ترقبُ كلَّ طيفٍ عـــابرِ
ويطيـرُ سـمـعى صـوبَ كلِّ مُرِنَّةٍ
فى الأفقِ تخـفقُ عن جَناحىْ طائرِ
وترفُّ روحى فـوقَ أنفـاسِ الرُّبا
فلعلَّهـــا نَفَسُ الحــبـيبِ الزائرِ
ويَخِفُّ قلبى إثرَ كلِّ شُعـــاعــةٍ
فى الليلِ تومضُ عن شـهابٍ غـائرِ
فلعلَّ من لَمَحَاتِ ثغـــركَ بـارقٌ
ولعلَّه وَضَحُ الجـبـينِ الناضـرِ
ليلٌ من الأوهامِ طالَ سُهــــادُهُ
بين الجوَى المضنى وهجسِ الخاطرِ
حـــتى إذا هَتَفَتْ بمقـــدمِكَ المُنى
وأصـخْتُ أسـترعى انتباهةَ حـائرِ
وسَرى النسيمُ من الخمائلِ و الرُّبى
نشوانَ يعبقُ من شذاكَ العاطرِ

وترنَّم الوادى بسلسلِ مـــائِهِ

وتلَتْ حمـائمُهُ نشيدَ الصـافرِ

وأطلَّتِ الأزهارُ من ورَقـــاتهـــا

حيـرى تَعجَّبُ للربيعِ البـاكرِ

وَجَرَى شُعَاعُ البَدْرِ حولَكَ راقصاً

طَرِباً على المرجِ النضـيـرِ الزاهرِ

وتجلتِ الدنيـــا كـأبهجِ مـا رأتْ

عينٌ وصـوَّرها خـيالُ الشـاعـرِ

ومـضتْ تُكذِّبنى الظنونُ فـأنثنى

مُتسـمِّعـاً دقـاتِ قلبى الثـائرِ

أقبلْتَ بالبـسـماتِ تملأُ خـاطرى

سـحـراً وأمـلأُ من جـمـالكَ ناظرى

وأظلَّنا الصـمتُ الرهيبُ ونحنُ فى

شكٍ من الدنيـا وحلمٍ سـاحـرِ

حتى إذا حـانَ الرحيلُ هتـفتَ بى

فـوقـفتُ واستَبَقَتْ خُطاكَ نواظرى

وصـرختُ بالليلِ المودِّع باكـيـاً

ويداكَ تمسكُ بى وأنتَ مـغـادرى

يا ليــتنا لم نَصْحُ منكَ وليــتَهـا
مــا أعــجلتكَ رَحَى الزمــانِ الدائرِ

* * *

ولقـد أتتْ بعـدُ الليـالى وانقـضتْ
وكـــأننا فى الـدهرِ لم نتــــزاورِ
بُدِّلتُ من عَطْفٍ لديكَ و رقـــةٍ
بحنينِ مـهـجـورٍ وقـســوةِ هـاجـرِ
وكــأننى مــا كنتُ إلفَكَ فى الصِّبَا
يومــاً ولا كنتَ الحـيـاةَ مـشـاطرى
ونسـيتَ أنتَ ، ومـا نسـيتُ ، وإننى
لأعيشُ بالذكرى .. لعلَّك ذاكرى !!

✍ ✍ ✍

٢٠ - البحر والقمر

تَســـاءَلَ الماءُ فـــيكِ والشَّجــرُ
من أين يا « كــانُ » هذهِ الصُّوَرُ ؟

البـــحــرُ والحــورُ فـــيــهِ ســـابحـــةٌ
رُؤىً بـــهـــــا بــاتَ يَحْلُمُ الـقَمَرُ !

أطلَّ والــضـــــــوءُ راقصٌ غَزِلٌ
دعـــــاهُ قلبٌ ، وشـــــاقَهُ بَصَرُ

يـهـــمسُ فـــيـــمـــا يراهُ من فِتَنٍ
آلــهــــــــــةٌ هـؤلاءِ أم بَشَرُ ؟

يقـــفـــزُ من لجـــةٍ إلى حـــجَرٍ
كــــــأنما مَسَّ روحَهُ الـضَّجَرُ

مـــعـــربداً لا يريمُ ســـابحـــةٌ
إلاَّ ومنهُ بثـــــغـــــرها أثَرُ

من كلِّ حـــوَّاءَ مـــثلمـــا خُلِقَتْ
يعـــجبُ منهـــا الحـــرير والوَبَرُ

أَلْقَتْهُ عنهـــا رقـــائقـــاً ونَضَتْ
جـــســـمـــاً تَحَامَى نداءَهُ القَدَرُ

فى حـــانةٍ مـــا علَتْ بهـــا عُمُدُ

ولا اســـتـــوى فى بنائهـــا حَجَرُ

جُدرانهـا الماءُ ، والســمـــاءُ لهـــا

ســقـــيـــفـــةٌ ، والنســـائمُ السُّتُرُ

خـــمّارُها مُنْشِدٌ ، وســـامـــرُها

حـــورٌ تلوّى ، وفـــتـــيـــةٌ سكروا

لم تَبْقَ فى الشطّ منهـــمـــو قَدَمٌ

قد خوّضوا فى العباب وانتثروا

وشَيَّعوا العقلَ حينما شربوا

وَوَدَّعوا القلبَ حـــيـــثـمـــا نظروا

والسابحاتُ الحسانُ حولهمو

كـــأنهنَّ النجـــومُ و الزَّهَرُ

يزيدُ ســـيـــقـــانَهنَّ من بَهَجٍ

لونٌ عـــجـــيبُ الرُّواءِ مـــبـــتَكَرُ

يضىءُ ورداً وخـــمـــرةً وسنىً

ذوبٌ من المغـــريات مُعْتَصَرُ

تغـــــايـر الموجُ إذ طلعنَ به

وثارَ من حـــولهنَّ يشـــتَجِرُ

بــهــنَ يــلــتــفُّ مُرْتَقــىً وَيُرَى

ينشقُّ عنهنَّ فــيــه مُنْحَدَرُ

منفــتــلات قــدودُهُنَّ كــمــا

ينفــتل الغــصنُ آده الثــمــرُ

مُلــوِّحــــــات بــأذْرُعٍ عَجَبٍ

تحــذرهنَّ النهــودُ و الشَّعــرُ

والضــوءُ فــوق الخُصــور منهــمــرُ

والماءُ تحت الصــدور مــســتــعــرُ

مــازِلْنَ والبــحــر فــى تَوَثُّبــه

يُرْغِي كــمـــا راع قَلْبَهُ خطــرُ

قــد جــاوز الليلُ نِصْفَهُ فــمــتــى

توْمُ فــيــه أصــدافَهــا الدُّرَرُ

فليــصــخبِ البــحــرُ ولتــئنَّ به

رمــالُه ، وليــثــرثرِ الشــجَرُ

ولتــعــصفِ الريحُ فــوق مــائجــه

ولينبــجس من غــمــامــه المَطَرُ

أقــســمنَ لا ينتــحــين شــاطئَهُ

وإنْ تَرامَى بمــائــه الشــــرر

حــــتى يُرَى وهو فــــضةٌ ذَهَبٌ

تمازجَ الليلُ فــــيـــه والسَّحَرُ !

✍ ✍ ✍

٢١ – حلم ليلة

إذَا ارتقى البدرُ صفحةَ النهرِ
وضمَّنا فيهِ زورقٌ يجرى
وداعبتْ نَسمةٌ من العطِرِ
على مُحيَّاكِ خُصْلَةَ الشَعرِ
حَسَوْتُها قبلةً من الجَمرِ
جُنَّ جُنونى لها وما أدرى
أىّ معانى الفتونِ والسِّحرِ
ثغرُك أوحى بها إلى ثغرى !
حلْمُ مساءٍ أتاحهُ دهرى
غَرَّدَ فيهِ الحبيسُ فى صدرى

✍ ✍ ✍

٢٢ - إعتراف

إنْ أكُنْ قد شربتُ نَخْبَ كثيراتٍ وأترعتُ بالمدامة كأسى
وتَوَلَّعتُ بالحسانِ لأنى مُغْرَمٌ بالجمالِ من كلِّ جنسِ
وتَوَحَّدتُ فى الهوى ثُمَّ أشركتُ على حالتىْ رجاءٍ ويأسِ
وتَبذَّلتُ فى غرامى فلم أحبِسْ على لذةٍ شياطينَ رِجْسى
فبِرُوحِى أعيشُ فى عالمِ الفنِّ طليقاً والطهرُ يملأُ حِسِّى
تائهاً فى بحارِهِ لستُ أدرى ، لِمَ أزْجى الشراعَ أو فيمَ أرْسى
لىَ قلبٌ كزهرةِ الحقلِ بيضاءَ نَمَتْها السماءُ من كلِّ قَبْسِ
هو قيثارتى عليها أغنِّى وعليها وَحْدِى أغَنِّى لنفسى
لِى إليها فى خَلْوَتى همساتٌ أنْطَقَتْها بكلِّ رائعِ جَرْسِ

* * *

كم شفاهٍ بِهِنَّ من قُبُلاتى وهَجُ النارِ فى عواصفَ خُرْسِ
ووسادٍ جَرَتْ بهِ عبراتى ضِحكُ يومى منه وإطراقُ أمسى
أيُّهذى الخدورُ أنوارُكِ الحمراءُ كم أشْعَلَتْ ليالىَ أنسى
أحرقتهنَّ ! آهِ لم يَبْقَ منهنَّ سوى ذلكَ الرَّمادِ برأسى !

٢٣ – أندلسية

حسنُكِ النشوانُ والكأسُ الرويَّةُ
جدَّدا عهد شبابى فسكَرْتُ
حلُمُ أيامٍ ولَيْلاتٍ وضيَّةْ
عَبَرَتْ بى فى حياتى وعبرتُ
أنا سكرانُ وفى الكأسِ بقيَّةْ
أىُّ خمرٍ مَنْ جَنَى الخلد عصرتُ؟
آهِ، هاتى قرِّبى الكأس إليَّهْ
واسقنيها أنتِ، يا أندلسيَّةْ

* * *

لا تقولى أىُّ صوتٍ ملْهِمٍ
قَادَ روحينا، فجئنا، والتقيْنا
دَمُكِ المشبوبُ فيه من دمى
روحُ ماضٍ بالهوى يهفو إلينا
أخْتَ روحى! قرِّبيها من فمى
إنْ شَرِبنا أو طربنا ما علينا

آهِ هاتيــهــا من الحـــسنِ جَنِيَّةً
واسـقْيــهـا أنتِ ، يا أندلسـيَّةً

* * *

كـــانتِ النظرةُ أولى نظرتينْ
ثُمَّ صــارَتْ لفظةً مـــا بَيْنَنا
والهـوى يَعْجبُ مِنْ مـغـتـرِبَيْنْ
لم يَقُلْ أنتِ ، ولا قـــالتْ أنا
وَسَبحْنا فـوقَ وادٍ من لُجـينْ
تَحْتَ أفقٍ من غـمـــامٍ وسَنَى
أتملأُهـا سِمـــاتٍ عـــربيـــة
وأنادى أنـتِ ، يا أندلســـيـــة

* * *

صِحْتُ يا للشَّمسِ فى ظلِّ المغيبِ
تـلـثـمُ الـزَّهْرَ وأوراقَ الـشَّجَرُ
خِلْتُهــا بين مــحبٍّ وحــبـيبِ
قُبْلَةً عـــنــدَ وداعٍ وَ سَفَرُ
فـــانثنتْ تنظرُ للوادى العــجـيبِ
صُوَراً يَذْهَبْنَ فـــى إثْرِ صُوَر

وبسمعى همسةٌ منها شَجية

وبروحى أنتِ ، يا أندلسية

* * *

ونزلنا عِنْدَ شطٍّ من نُضارِ

وانتحينا خلوةً بعد زحامِ

قلتُ والليلُ بأعقابِ النهارِ :

ألَكِ الليلةَ فى لحنٍ و جامِ ؟

ما على مغتربىْ أهْلٍ ودارِ

إنْ أدارا ها هنا كأس مدامِ ؟

آهِ هاتيها كخدَّيكِ نقيَّة

واسقنيها أنتِ ، يا أندلسيَّة

* * *

واحتوتنا بَيْنَ لَحنٍ مطربِ

حانةٌ مِثلُ أساطيرِ الزَّمانِ

صَوَّرتْ جدرانُها بِالذَّهبِ

فِتَنَ العشق وأهواءَ الحسانِ

قالتِ : اشربْ قُلْتُ لبَّيكِ اشربى

مِلءِ كأسين فإنَّا ظامئانِ

خمرةٌ روميةٌ أو بابليّهْ
إسقنيها أنتِ ، يا أندلسيةْ

* * *

هتفتْ بى ويداها فى يدى
تدفعُ الكأسَ بإغراءٍ وعُجْبِ
أىُّ قيثارٍ شجىٍّ غَرِدِ
خِلْتُهُ ينطقُ عَنْ أسرار قلبى !
قلتُ طِفلٌ من قديمِ الأبدِ
يمزُجُ الألحانَ مِن خَمْرٍ وحُبٍّ
ملءُ كأسٍ فى يديهِ ذهبيّةٌ
فاسقنيها أنتِ ، يا أندلسيّةُ

* * *

ومضى الليلُ ونادى بالرواحِ
كلُّ خالٍ وتعايا كلُّ صَبٍّ
وخبا المصباحُ إلاَّ كأسَ راحِ
نورُهُ ما بين إيماضٍ ووثبِ
قد تحدّى وهْجُهُ ضوءَ الصباحِ
فَبَقَيْنا حولهُ جَنْباً لِجَنْبِ

نتساقاها على الفجرِ نديَّةً
وأغنّى أنت ، يا أندلسيَّةْ

* * *

يا عروسَ الغربِ ، يا أندلسيَّةْ
بَعُدَتْ دارُكِ و الصيفُ دنا
أينَ أحلامُ اللّيالى القَمرِيَّةْ
والبحيراتُ مُطيفاتٌ بِنا ؟
أذكرى بينَ الكؤوسِ الذَّهبيَّةَ
حانةٌ ، يا ليتها دامَتْ لَنَا
حين أدعوكِ صباحاً وعشيَّةْ
إسقنيها أنتِ ، يا أندلسيَّةْ

✍ ✍ ✍

٢٤ - فلسفة وخيال

نُهْزَةٌ أهْدَتِ الخــــيـــالَ إلينا

ودعَتْنا لموعــدٍ فـــالتـــقـــينا

ههنا تحتَ ظُلَّةِ الغـابةِ الشـجـرا

ءِ سِرْنا ، والفـــجــرُ يحنو علينا

وقَطَفْنـا مـن زَهْرِهـا ، وانـثـنـيْنا

فَجَنَيْنا تُفَّاحـــهــــا بيـــدينا

وَمَرِحْنا بهـــا ســـحـــابةَ يومٍ

وبأشــجـارها نقـشْنا اسـمـينا

* * *

ههنا يا ابنةَ البـحـيـراتِ والأوديةِ الخُضْرِ والرُّبَى والجـبـالِ

صَدَحَ الحبُّ بالنشـيـد فلبَّينا نداءَ الهـوى وصـوتَ الخـيـالِ

وتَبِعْنا على خُطَى الفجرِ موسـيقى من العُشْبِ والندَى والظلالِ

وسـمـعنا حـفيفَ أجنحةٍ تهفو بها الريحُ من كـهوفِ الليـالى

* * *

قُلْتِ لى والحـيـاءُ يَصْبُغُ خـدَّيْكِ : أنارٌ تمشى بهـا أمْ دمـاءُ ؟

ملءُ عينيكَ ، يا فتى الشرقِ ، أحلامٌ سكَارى وصبوةٌ واشتهاءُ

وعلى ثغـرِكَ المشـوقِ ابتـسـامُ
ضَرَّجَتْهُ الأشـواقُ والأهـواءُ
أوَ حـقـاً دُنيـاكَ زهرٌ وخـمـرٌ
وغـوانٍ فـواتـنٌ وَ غـنـاءُ ؟

* * *

قُلْتُ : يا فـتنةَ الصِّبـا حَفِلَتْ دنيـاكِ بالحبِّ والمُنَى والأغـانى
مـا أثارتْ حـرارةَ الجَسَدِ المشـتـاقِ إلا مـرارةُ الحـرمـانِ
إنَّ أجـسـادنا مـعـابرُ أرواحٍ إلى كلِّ رائعٍ فـتَّانِ
أنـا أهوى روحـيَّةَ العـالم المنظورِ لكنْ بالجـسمِ والوجـدانِ

* * *

مـا تكونُ الحـياةُ لو أنكرَ الأحـياءُ فـيـهـا طبـائعَ الأشـيـاءِ !
أنا أهواكِ كـالفـراشـةِ صـاغتـهـا زهورُ الثرى وكفُّ الضـيـاءِ
أنا أهـواكِ فِتْنَةً صـاغـهـا المثَّالُ من طينةٍ ومن إغـراءِ
أنا أهـواكِ بدْعـةَ الخلد صيـغَتْ من هَوَى آدمٍ ومن حـوَّاءِ

* * *

أنـا أهـواكِ مـن آثـامٍ وَطُهْرٍ
حلْمَ إغْفـاءَتى وصَحْوَ غـرامى

أنا أهواكَ تُبْدعــينَ يقــينى من نســيجِ الظُّنونِ والأوهامِ
أنا أهواكِ دِفْءَ قلبى ويَنْبُوعَ اشــتــهــائى ، وشِرّتى ، وغُرامِى
وحنـانـاً مُجــــــسَّداً إنْ طوانى الليلُ وسدّتْ صَدْرَهُ الامى

* * *

يا لَلطريقِ الضــيِّقِ الصّاعــدِ بين ربوتينْ
كــأنما خُطَّ على قَدْرِ خُطىً لعـــاشــقــينْ
الشَّجَراتُ حـــولهُ كـــأنهـــا أهدابُ عَيْنْ
كـعــهــدِهِ بصــاحبِ الدّارِ ظليلَ الجـانبينْ
نَبَّأهُ الــصَّدَى المــرنُّ عــن قُدومِ زائــريــنْ
فى فــجــرِ يومٍ مـاطرٍ شَقَّ حـجـابَ ديمــتــينْ
كــــأنما يَنْزِلُ منهُ الوحىُ حَبَّاتِ لجـــينْ
فــانتــبــهتْ خــمــيلةٌ تهــزُّ عُشَّ طائرينْ
وشــاعَ فى الغــابةِ هَمْسٌ من شــفــاهِ زهرتين
مَنِ الغــريبــانِ هُنا ؟ ومــا سُراهمــا ، وأينْ ! ؟
مــاذا قــدومــهُمــا والغــيثُ مِدرارُ
لا صـــاحبُ الدّارِ طلاَّعٌ ولا الدّارُ
هذى البـحيرةُ وَسْنَى ، حُلْمُ ليلتـها
لمّا تُفِقْ منهُ شطئـــانٌ وأغـــوارُ

والأرضُ تحتَ سـحـابِ الماءِ أخيلةٌ
مما يُصـــــــوِّرهُ عُشْبٌ ونُوّارُ
والصبحُ فى مهدِهِ الشرقىِّ ما رُفِعَتْ
عن وَرْدِهِ من نسيجِ الغَيْمِ أستـارُ
حتَّى الجبالُ فما لاحتْ لها قِممٌ
ولا شـدا لرُعاة الضـأنِ مـزمـارُ
فمنْ هما القادمانِ ؟ الريحُ صاغيةٌ
لوَقْعِ خطوِهمـا والأرضُ أبصـارُ !
أعادَ منْ زَمَنِ الأشبـاحِ سامـرُهُ
فالليلُ والغابُ أشباحٌ وأسْمارُ ؟
أمِ البحـيـرةُ جِنِّياتُها طلعتْ
فـهبَّ مــوجٌ يناديهـا وتَيَّارُ !
أمْ راصداً كوكبٍ ضلاَّ سبيلهما
لمَّا خَبَتْ من نجـــومِ اللَّيلِ أنوارُ
أمْ صاحبا سَفَرٍ مالَ الضَّنَى بهما
حَوَتْهـمـا جَنَّةٌ للفنِّ مِـعْطارُ
أم عاشقانِ تُرَى ؟ أم زائرانِ هما ؟
وهل مَعَ الفـجـرِ عُشَّاقٌ وزوَّارُ ؟ !

وأمسكَ الغيثُ كما لو كانَ يُصغى مثلَنا
واعتنقتْ حتى وُرَيْقاتُ الغصونِ حولَنَا
كأنما تخشى النسيمَ أو تخاف الغُصُنَا
وانبعثَ اللحنُ الشجىُّ من هنا ومن هنا
يثورُ فى إيقاعِهِ قيثارةٌ وأرْغُنَا
كأنَّ جِناً فى السماءِ يُشْعلونَ الفتنَا
كأنَّ أرباباً بها يُحاكمونَ الزَّمَنَا
يا صاحبَ الإيقاعِ ما تعرفُ ما هجْتَ بنَا
ألفجرُ ؟ أم ثارتْ على الشمس بوارقُ السَّنى ؟
مَالَكَ قد غَنَّيتَهُ هذا النشيدَ المحزنَا
غَنَّيْتَهُ آلهةُ أمْ أنتَ غنَّيْتَ لنا ؟
ما ذلكَ الصوتُ شاجى اللحنِ سَحَّارُ
يُجْرِيهِ نبعٌ من الإلهامِ زَخَّارُ
فيه تَنَفَّسُ فوقَ السُّحبِ آلهةٌ
وآدميونَ فوقَ الأرضِ ثُوَّارُ
له مذاقٌ ، له لونٌ ، له أرَجٌ
خَمْرٌ أباريقُها شتَّى وأثمارُ
أشتفُّهُ وأُنادى كلَّ ناحيةٍ
مَنِ المُغَنِّى وراءَ الغابِ ، يا دارُ ؟

السـمـفـونيَّة هذى ! أم صـدى حلُمٍ

كـمـا تَجـاوبُ خلفَ الليلِ أطيـارُ !

أعـادَ للمِعْزَفِ المهـجـورِ صـاحـبُهُ

فـــعـــربدتْ فى يديهِ منهُ أوتـارُ !

أظَلُّ أصْغى ومـا من شُرْفـةٍ فُتِحَتْ

ولا أزاحَ رِتـاجَ البـــــابِ ديَّارُ

حتى الحديقةُ لَفَّتْ كوخَ حارسـها

بصـمـتـهـا ، فـهـمـا نَبْتٌ وأحـجـارُ

تواضـعتْ بجـلال الفنِّ مـا ارتفـعتْ

مـثلَ البـروجِ لـهـا فى الجـوِّ أسْوارُ

تُصْغى إلى هَمَسَاتِ الريحِ شـيِّقـةً

كـأنما هـمـسـاتُ الريحِ أخـبـارُ !

هنيـــهــةً ، ثمَّ ســمـــعنا هاتفــاً مـــردِّدًا

يقـولُ : قُمْ « يا سِجْفـريدُ » ، فالصَّبـاحُ قد بدا

عـــرائسُ الوادى ألَمْ تضـــربْ لهنَّ مـوعــدا ؟

مـاذا ! قُمِ انفضِ الكَرَى ، ونَمْ كـمـا شـئتَ غـدا

واخطرْ على الغـــابةِ منضـــورَ الصبِّــا مُخلَّدا

خُذْ سـيـفكَ السـحـرىَّ صِيغَ جوهراً وعسـجـدا

قـــد لَقِيَ التنِّينُ منه فى العــــشـــيَّةِ الرَّدَى
صــــوتٌ معَ الريحِ سرَى .. ، وللسكونِ أخلدا
فــأمْسَكَتْ صــاحــبــتى يدى وحــاطتْ بى يدا
تقــولُ : لم أســمعْ كـهـذا اللحن أو هـذا الصَّدَى
قلتُ : ولا بمثلهِ شــــــادٍ على الدهرِ شَدَا
قــد باحَ بالنَّغَمِ الموعــودِ قــيــثــارُ
فــالفــجــرُ أحــلامُ عُشَّاقٍ وأســرارُ
صــــحـــا يُفَصِّلُ رؤياهُ ويَعْبُرُها
موجٌ على الشاطىء الصخرىِّ ثرثارُ
وزحزحتْ وَرَقَ الصفصافِ حانيةٌ
على البُحــيــرة أعــشــابٌ وأزهارُ
تُســائلُ الماءَ : هل غَنَّتْهُ أو عَبــرتْ
شُهْبٌ بِهِ مــســتــحــمــاتٌ وأقــمــارُ ؟
يا صاحبَ اللحنِ إنَّ الغابَ مُصْغِيةٌ
فأينَ من « سِجِفرِيدَ » السيفُ والغارُ ؟
مـا زالَ فوقَ ندىًّ العشبِ مضجعُهُ
وَمِنْ يديه على الأغـــصـــانِ آثارُ
هذا النشيدُ ، نشيدُ الحبِّ ، تَعزِفُهُ
له عــــرائسُ ، مِثْلُ الوردِ ، أبكارُ

بَعَثْتَــهنَّ من الأنغــام أجنحـــةً
هـزيـزهـنَّ مَعَ الأفـــــلاكِ دوّارُ
فى صــدرِ قــيـثــارةٍ أودعْتَهُ نَغَمــاً
مِزاجُهُ الماءُ والإعــصــــارُ والنارُ
تُفْضِى بما شئْتَ من أسرارِ عالمها
فــيـــهِ ليــالٍ ، وأيامٌ ، واقــدارُ
حـتى الطبـيـعـةُ من ناسٍ وآلـهـةٍ
تمازجتْ فـهىَ ألحـانٌ وأشـعـارٌ !

✍ ✍ ✍

٢٥ - اللّه والشاعر

- لا تفـــزعي ، يا أرضُ ، لا تَفْرقي
من شبَحٍ تحتَ الدُّجى عـــــابرِ
مــــا هوَ إلاّ آدميٌّ شـــقِي
ســمَّوْهُ بين الناسِ بالشـــاعــرِ

- حنانَكِ الآن ، فـــلا تُنكرِي
ســبـيلَهُ في ليلكِ العـابسِ
ولا تُضلِّيـــــهِ ، ولا تـنْفـــرِي
مِنْ ذلكَ المســتـصـرخِ البـائسِ

- مُدِّي لعينيهِ الرّحابَ الفِساح
ورقــرقي الأضـــواءَ في جــفنهِ
وأمــسكي ، يا أرضُ ، عـصْفَ الرياحْ
والـرّاعـــــدَ المُنصبَّ فـي أذنـهِ

- أنتِ لـهُ ، يـــا أرضُ ، أمٌّ رؤوم
فـــاشْهــدِي الكونَ على شِقْوَتهْ
وردِّدي شكـواهُ بـينَ الـنجــــومْ
فـهــوَ ابنُكِ الإنســانُ في حَيْرتهْ

• مـــا هوَ إلاّ صـــوتُك المُرْسَلُ
وروحُك المســـتـــعـــبَدُ المُرْهَقُ
قـــد آدَهُ الـدهـرُ بمـا يَحــــملُ
فـــجـــاءَ عنْ آلامـــه يَنطِقُ ؟

• طغَى الأسى الدَّاوي على صـــوتِهِ
يـا لـلـصدَى مـن قـلـبــــهِ النَّاطقِ
مـــضى يبثُّ الـدهـرَ في خـــفْتِهِ
شـكـايـةَ الخَلْقِ إلى الخـــــالقِ

• حنانكَ اللهمَّ ، لا تغـضبِ
أنتَ الجـمـيلُ الصـفحِ ، جمُّ الحنانْ
مـــــا كـنتُ فـي شكوايَ بالـمذنبِ
ومنكَ ، يـاربُّ ، أخـــذتُ الأمـــانْ

• مـا أنا بالزاري ولا الحـاقـدِ
لكنني الشّاكي شـــقـــاءَ الـبـشَرْ
أفنيتُ عـــمـري في الأسى الخـــالدِ
فـجـئتُ أسـتـوحـيكَ لُطْفَ القـدَرْ

• تمرَّدتْ روحي على هـيكلي
وهـيكلُ الجـسمِ كــمــــا تعلمُ

ذاكَ الضـــعـــيفُ الرأيِ لم يفـــعلِ
إلاَّ بمـا يـوحـي إِلـيـــــه الـدمُ !

- يَعـرُقُ حـدُّ السّـيْفِ مـن لحـمـهِ
ويـحـطـمُ الـصُّفـــوانُ بـنـيـــانَهُ
ويـنـخـــرُ الجـــرثـومُ فـي عـظمـــهِ
ومـنـهُ يُنْمـي الـقـــبـــرُ ديدانَهُ !

- مـــا هوَ إلاَّ كـــومـــةٌ من هبـــاءْ
تمـحـــقـــهُ اللمـــســةُ من غَضـــبـــتِكْ
فكيفَ يثـني الروحَ عـــمـــا تَشـــاءْ ؟
وكـــيف يقـــوي ؟ وَهْيَ من قـــدرتِكْ ؟

- يا للشـــقيِّ القلب كمْ ســـامَهُ
تـوهُّم الـنـعـــمـــةِ مـــا لا يُطيقْ
يُريـــدُ أنْ يُقـــنـــعَ أوهـــامَهُ
بـــأنـــهُ ذاكَ الخـــليُّ الـطـلـيـقُ

- هـــأنـــذا أرفـــعُ آلامـــهُ
إلـى ســـمـــاءِ المنقـــذِ الأعظـمِ
أنـا الـذي تُرسـلُ أنـغـــامَهُ
قـــيـــثـــارةُ القـلب ، ونـايُ الـفـمِ

● من عبراتي صُغتُ هذا المقالْ
ومن لهيبِ الروحِ هذا القلَمْ
ملأتُ منهُ صفحاتِ الليالْ
فَضُمِّنَتْ كلُّ معاني الألمْ

● أنا الذي قدَّسْتَ أحزانَهُ
ألشَّاعرُ الباكي شقاءَ البشَرْ
فَجِّرْتَ بالرحمةِ ألحانَهُ
فاملأ بها ، يارِبِّ ، قلبَ القدَرْ !

● ما الشاعرُ الفنَّانُ في كونهِ
إلاَّ يدُ الرحمةِ من ربِّهِ
مُعَزِّيَ العالمِ في حزنهِ
وحاملُ الآلامِ عنْ قلبهِ

● عزاؤهُ شعرٌ بهِ أهْزَجُ
في نَغَمٍ مستعذَبٍ ساحرِ
ما يَحْزَنُ العالَمُ أو يُبهجُ
إلاَّ على قيثارةِ الشاعرِ

● يارِبِّ ، ما أشقيتني في الوجود
إلاَّ بقلبي : ليتهُ لم يَكُنْ

فــي المــثــل الأعــلــى وحبٍّ الخــلــودْ
حـــــمَلتـــــهُ الـعبءَ الذي لـم يَهُنْ

• خلقــتــهُ قلبــاً رقــيقَ الشّغافْ
يهـــيمُ بـالنورِ ويَهْوى الجــمـــالْ
حلَتْ لَهُ الــنـجــــوى ولـذّ الـطـواف
بعـــالمِ الحــسنِ ودنيــا الخـــيـــالْ

• بَعَثْتَهُ طيــراً خــفــوقَ الجــنـاحْ
عــلــى جِنــانٍ ذاتِ ظـلٍّ ومـــــاءْ
أطلقــتـــهُ فــيــهــا قُبَيْلَ الصــبــاحْ
وقلـتَ : غنِّ الأرضَ لحنَ الســمـــاءْ

• فــهـامَ فـي آفــاقــهــا الواسعَة
الـنُّورُ يـهـــفـــو حـــولَهُ والنَّدَى
مُصـــفِّقــاً لـلضّحْوَةِ الســاطعَةْ
ومُنشِداً مـــا شـــاءَ أنْ يُنشـــدا

• إنْ جــاءَ صــيفٌ أو تجلّى ربيعْ
حـــيّاهُ منهُ عـــبـــقـــريُّ الـغِناءْ
وكم خـــريفٍ في نشـــيـــدٍ بديعْ
تـظلُّ تَرويهِ لـيـــالي الشـــتـــاءْ

● قيثارةٌ تصدرُ في فنِّها
عن عالمِ السِّحرِ ودنيا الخفاءْ
على الصُّدَى الحائرِ من لحنِها
يستيقظُ الفجرُ ويغفو المساءْ

● مَشتْ على الأمواجِ أنغامُها
والأرضُ قَيْدُ النشوةِ المسكِرة
كأنَّما ترقُص أحلامُها
في ليلةٍ شرقيةٍ مُقمرة !

● من قلبِه أسلَمْتَ أوتارَها
فقلبُهُ يخفقُ في كفِّهِ
يشدو فتُملي النفسُ أسرارَها
عليه ، فهيَ اللحنُ من عزفِهِ

● ذاتَ صباحٍ طارَ لا يُمْهِلُ
والأرضُ سكرى من عبيرِ الزهورْ
على حصاها رنَّمَ الجدولُ
وفي روابيها تُغنِّي الطيورْ

● ما كانَ يدري قبلَ أن ينظُراَ
ما خَبَأتْهُ النظرةُ العاجلة

مـــــا أبدعَ الحلمَ الذي صـــــوَّرَا
لوْ لَمْ تَشُبْهُ اليــــقْظَةُ القـــــاتلة !

- مــرَّ بنهــرٍ دافــقٍ سلســبيلْ
تهــفــو القــمَاري(1) حـــولَهُ شـــاديَهْ
في ضــفــتــيــهِ باســقــاتُ النخــيلْ
ترعى الـشـــيـــاهُ تحـــتَهـــا ثاغيَة

- فــهـــاجــتِ النظـرةُ ممـــا رأى
في قلبـــهِ الســـحـــرَ وفي عـــينهِ
الكونُ يبـــدو وادعــــاً هـانئـــاً
كـــــأنهُ الـفــــــردوسُ فـي أمـنـهِ

- فظلَّ في التـفكيـر مسـتـغـرقـاً
من فــتنةِ الدنيـــا وَمِنْ ســـحــــرِها
مـــا كـــانَ إلاَّ ريثـــمـــاً حـــدَّقـــا
حـــتى جلَتْ دنيـــاهُ عن ســــرِّها

- رأى بعـــينيـــهِ الذي لــم يــرَهْ
الذئبَ ، والشـــاةَ ، وحـــربَ البـــقـــاءَ

(1) القُمْرِيُّ : ضرب من الحمام حسن الصوت .

مـــا عَرَفَ القــــتلَ ولا أبصـــرهْ
ولا رأى مـن قَبْلُ لـونَ الـدمـــــاءْ !

● مـــا هى إلاَّ صـرَخَاتُ الفـزَعْ
وصـــيـــحـــةُ المقــتـــولِ والقـــاتلِ
قـــدِ انقـــضى الأمـــرُ كـــأنْ لمْ يَقَعْ
وضـــاعَ صـــوتُ الحقِّ في البـــاطلِ

● وبعـدَ ســاعــاتٍ يُوَلّي النهــارْ
ويقــــبلُ الليلُ ، ومـــا يعلمُ !!
ســيلبثُ الســرُّ وراءَ الســتــارْ
ويخــتـــفي الشـلْوُ ويُمــحي الدمُ !!

● يا أرضُ ، ولْى عـــهــدُ نوحٍ وزالْ
فَمَنْ لكِ اليــــومَ بطـوفـــــانه ؟
مـــسكينةٌ تطوينَ بحـــرَ الليـــالْ
قـــد عـــزَّكِ المرسى بشطئـــانه !

● إلامَ تطوينَ عُبـــابَ السنينْ
شــوقـــاً إلى فـــردوسكِ الضـائعِ ؟
غُرِّرتِ ، يـــا أرضُ بمـــا تحـلـمـــينْ
فـاسـتـيـقظي من حلمكِ الخـادعِ !!

● وابقي كما أنتِ على موجِهِ
تُمَزِقُ الأنواءُ منكِ الشراعْ
يقذفُكِ التيار في لجِهِ
عشواءَ لا يهديكِ فيهِ شُعاعْ

● سلي القداساتِ وأربابَها
ضراعةٍ تصغى إليها السماءْ
أو فاطرقي بالبثِّ أبوابها
لعلّها ترفعُ عنكِ الشقاءْ !

● يا أيها الغادونَ والرائحونْ
في شُعَبِ الأرض وليلِ الهمومْ
تُمسونَ أشتاتاً كما تصبحونْ
والشمسُ حيْري فوقَكم والنجوم !

● فابتهلي للّهِ ، واستغفري
وكفّرى عنكِ بنارِ الألمْ
وقدِّمي التوبةَ ، واستمطري
بين يَديْه عَبَراتِ النَّدَمْ !!

✍ ✍ ✍

المحتويات

القصيدة　　　　　　　　　　صفحة

رقم الإيداع ٥٧٤٩ / ٩٦
I. S. B. N 977-01-4811-3



مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦



مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

